

معهد البحوث والدراسات العربية

الكتب التاريخية في العهد القديم

محاضرات

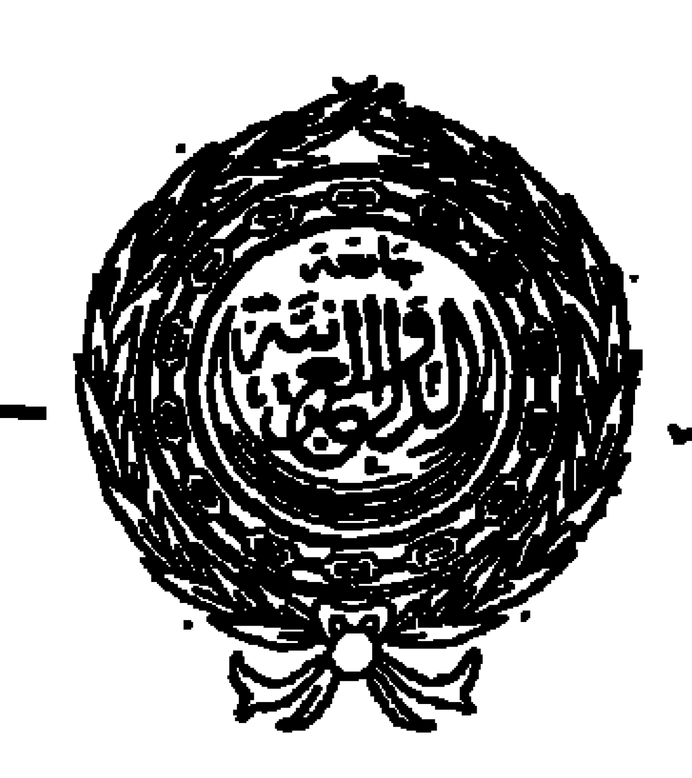
ألقاها

دكتور مراد كامل

[على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية]

١٩٦٨

الكتب التاريخية
في
العهد القديم



معهد البحوث والدراسات العربية

الكتب التاريخية في العهد القديم

محاضرات

ألقاها

دكتور مراد كامل

[على طلبة قسم الدراسات الفلسطينية]

١٩٦٨

مقـــــدمة

إن دراسة العهد القديم تعالج نشأة كتاب العهد القديم وتاريخه وتشمل ثلاثة موضوعات :

أولا : تاريخ نص أسفار العهد القديم .

ثانياً : بحث الظروف والزمن التى نشأ فيها كل سفر على حدة .

ثالثاً : تاريخ جمع أسفار العهد القديم وتحديده وقانونية الأسفار .

وتهدف دراسة العهد القديم إلى إستقصاء نشأة هذه المجموعة من الأسفار وتاريخها ، وهذه الأسفـار تتضمن كلمة الوحى ، وهى كتاب اليهودية المقدس الذى أعتبرته المسيحية أيضـاً كتاباً مقدساً .

وقد سميت هذه الأسفار فى كتاب العهد الجديد بالـكتب المقدسة :

يقول بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية ١ : ٢ إن الله سبق فوعـد بالمسيح على لسان أنبيائه فى الـكتب المقدسة ، ويقول بولس الرسول فى رسالتـه الثانية إلى تيموثاوس ٣ : ١٥ « وأنك منذ الطفوليـة تعرف الـكتب المقدسة » . وسميت هذه الأسفار مقدسة لما حوته من وحى إلهى .

ولم تطلق على هذه الأسفار مجتمعة تسمية شاملة .

أما التعبير عن أسفار العهد القديم بكلمة ناموس فقد ورد فى إنجيل يوحنـا ١٠ : ٣٤ « أجابهم يسوع أليس مكتوباً فى ناموسكم » وفى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ١٤ : ٢١ « مكتوب فى الناموس » وهذا لم يقصد به تسمية إصطلاحية شاملة للأسفار ، ولـكن هذه التسمية هى على سبيل إطـلاق الجزء على الـكل . فكلمة ناموس هى اللفظة اليونانية « نوموس » أى قانون وهى تقابل « توراة » العبرية . وقد سمى كتاب العهد القديم كله بإسم الجزء

الأول منه أى التوراة، وهى خمسة أسفار موسى ، التى تعرف بكتب القانون أو الشريعة .

وكان كل سفر من الأسفار يسمى سفراً على حدة يقول دانيال ٩: ٢«فهمت من الأسفار» وكلمة سفر ترجمها اليونان«بيبلوس»وهو الإسم اليونانى للمدينة الفينيقية جبيل ، التى كانت مركزاً لتجارة الأوراق البردية التى تصدرها مصر . وقدساد إستعمال كلمة بيبلوس للدلالة على جميع الكتب المقدسة عند الكتّاب المسيحيين . ومنذ أواخر القرن الثانى الميلادى يتحدث آباء الكنيسة عن العهد القديم والعهد الجديد . وكلمة عهد لم يقصد بها هنا « وصية » وإنما قصد بها « ميثاق »أو«معاهدة أتفاق » ، وذلك بحسب ماجاء فى سفر الخروج ٢٤ : ٧ « وأخذ كتاب العهد وقرأ فى مسامع الشعب » .

أما التمييز بين العهد القديم والعهد الجديد فقد أخذ هذا التعبير من الأنبياء يقول أرميا فى ٣١ : ٣١ ، ٣٢ « ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم » كما أُخذ من إنجيل متى حيث ورد فى إنجيله ٢٦ : ٢٨ « لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . وكذلك ذكر بولس الرسول العهد الجديد فى رسالته الثانية إلىأهل كورنثوس ٣:١٤.

وأسفار الكتاب المقدس هى قاعدة الإيمان وحياة المؤمنين. وتسمى قانونية لتمييزها من الكتب الدنيوية . وقد استخدم بولس الرسول كلمة قانون ليعبر عن الأسفار وذلك بالمعنى الأخلاقى ، فى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١٠: ١٣ . وقد أتفق آباء الكنيسة على أن أساس قانونية السفر ، هو الوحى .

وقد ورد معنى الوحى فى الكتاب المقدس يقول بطرس الرسول فى رسالته الثانية ١ : ٢١ « لأنه لم تأت نبوّة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » .

ويقول بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٣ : ١٦ « كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البّر . »

فالوحى هو تأثير خارق للطبيعة من الله على الكاتب الذى يختاره .

إن دراسة العهد القديم تطورت على مر الأجيال. كان يعتمد قبلا على دراسة لغات الكتاب المقدس وتفسير نصوصه وتاريخه وجغرافيته والآثار التى تتصل بما ورد فيه. ثم أخذت دراسة العهد القديم تتحدد شيئاً فشيئاً حتى اقتصرت فى النهاية على الناحيتين التاريخية والأدبية التى تتصل بأصل تقنين كل سفر وانتقال النص من جيل إلى جيل. فدراسة العهد القديم تهدف إلى أن تقرر علمياً كيفية تقنين الأسفار المقدسة.

تقسيم العهد القديم وعدد أسفاره :

كان كل سفر يكتب فى درج قائم بذاته ، ولهذا لم تنشأ مسألة ترتيب الأسفار ولم تظهر أهميتها إلا حين أخذ فى جمع الأسفار المقدسة .

وقد رتبت الترجمة السبعينية أسفار العهد القديم على وجه يختلف بعض الشىء عن الوجه الذى اصطلح عليه فيما بعد، ووضعت لكل سفر عنواناً، وذلك على المنهج الذى كان سائداً فى مصر، لأن الأسفار كانت تعرف قبلا بالعبارة الأولى من السفر.

ويضم العهد القديم تسعة وثلاثين سفراً ، قسمت إلى ثلاثة أقسام : التوارة أى الناموس والأنبياء والكتب .

فالتوارة وهى كتب موسى الخمسة (التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية). والأنبياء قسمان: الأوائل والأواخر، فالأوائل سفر يشوع والقضاة وسفرا صموئيل وسفرا الملوك، والأواخر نبوءات اشعياء وارميا وحزقيال والنبوات الأثنتا عشرة الصغار من هوشع إلى ملاخى ، وكانت تعد سفراً واحداً .

والكتب هى: المزامير والأمثال وأيوب ونشيد سليمان وراعوث ومراثى ارميا والجامعة وأستير ودانيال وعزرا ونحميا وسفرا أخبار الأيام.

ولم ترتب هذه الأسفار على حسب الأزمنة التى كتب فيها كل واحد منها. كان اليهود يقسمون أسفار موسى الخمسة إلى أربعة وخمسين قسما بعدد أيام السبت فى السنة ، وتسمى « فَرَشة » بالعبرية، بحيث تتم قراءتها على مدار السنة ، وكانت قراءة الأسفار الخمسة يتبعها قراءة أجزاء من الأنبياء .

جاء فى أعمال الرسل ما يدل على ذلك أعمال ١٥ : ٢١ « لأن موسى منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة من يكرز به ، إذ يقرأ فى المجامع كل سبت».

وفى أعمال ١٣ : ١٥ يقول: «وبعد قراءة الناموس والأنبياء ، أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الإخوة، إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا » .

وأطلق اليهود على الكتب الخمسة وهى : نشيد سليمان وراعوث ومراثى ارميا والجامعة واستير أسم « مجلوت » أى مجلات أو أدراج الإعياد ، من « مجـلة » بالعبرية أى درج أو كتاب (والمجلة فى العربية الكتاب أو الصحيفة تجمع طرائف الحكمة)، وهذه الأسفار تقرأ فى الأعياد الكبرى عندهم ، فنشيد سليمان يقرأ فى عيد الفصح وهو ذكرى ليلة خلاصهم من العبودية عندما قتل الملاك بكر كل بيت من المصريين وتجاوز عن بيوت إسرائيل، وراعوث فى عيد الخمسين ويقع فى اليوم الخمسين بعد ثانى الفصح وهو ذكرى تسلم موسى اللوحين وهو عيد الحصاد أيضاً ، والمراثى تقرأ فى التاسع من آب وهو يوم احتراق الهيكل، والجامعة فى عيد التابوت، وأستير فى عيد پوريم .

العهد القديم :

العهد القديم هو مجموعة من الاسفار المقدسة التى أعلن الله فيها ذاته للبشر وكان هذا الإعلان للشعب اليهودى أولاً .

والعهد القديم عبارة عن أسفار متفرقة لكتّاب مختلفين عاشوا فى أزمنة مختلفة خلال مدة تزيد عن ألف عام ، ثم ضمت هذه الأسفار فى كتاب واحد .

والأسفار تختلف فى موضوعاتها وأسلوبها، ففيها تاريخ وفيها تراجم اشخاص وفيها شرائع وقوانين وفلسفة وشعر ومواعظ وحكمة وأمثـال ونبوءات . وللكتاب هدف واحد يربط بين أجزائه المختلفة ، وهو الفدى والكشف عن طريق الخلاص .

مضمون العهد القديم

من خلق العالم إلى الطوفان :

خلق الله الأرض وما يتصل بها فى ستة أيام ، وكل يوم من هذه الأيام هو دور مجهول مداه . وخلق الله الإنسان الأول فى اليوم السادس ، خلقه الله على صورته ، وأعطاه سلطاناً على جميع المخلوقات ، ثم جعله فى الفردوس الأرضى الذى يدعى جنة عدن ، وذلك مع حواء امرأته التى خلقها من ضلع من أضلاعه . ولم يحفظ آدم وحواء شريعة الله وخالفا وصية الله لهما ، وأطاعا الشيطان بأن أكلا من شجرة معرفة الخير والشر . ففقدا سعادتهما ، وأصبحا عرضة للموت ، وطردهما الله من الفردوس الأرضى . وبسببهما دخلت الخطيئة والموت إلى العالم . وتحنن الله على الجنس البشرى ، فوعد نسل المرأة بأن يسحق رأس الحية .

ويخبرنا سفر التكوين بأولاد آدم ونسله ، كما يخبرنا بأن الخطيئة بدأت فى العالم منذ أن قتل قايين أخاه هابيل . وكان نسل قايين شريراً ، ولكن الأرض لم تخل من أناس عرفوا الله وعبدوه وكان معظمهم من نسل شيث . وفسد نسل شيث مع الزمن واختلط بالأشرار فامتلأت الأرض أثماً وعم الفساد الأرض ، فأرسل الله الطوفان وأهلك جميع الناس ما عدا نوحاً وأهل بيته لأنه كان يخاف الله ، وكانت نجاته بوساطة فلك بناه بأمره تعالى وأوى إليه حين بدأ الطوفان .

من الطوفان إلى دعوة إبراهيم :

لما خرج نوح من الفلك بعد الطوفان أقام الله معه عهداً . وكان لنوح ثلاثة أبناء هم . سام وحام ويافث ، ومن نسلهم خرج جميع سكان الأرض . وعزم نسل نوح بعد مرور زمن للطوفان على بناء برج بابل ، غير أن الله بلبل ألسنتهم حتى لا يتافهموا على معصيته . وعمت الوثنية فى العالم ، وشاء الله أن يختار شعباً ليحفظ الدين . ولهذا دعا إبراهيم من مدينة أور وأمره أن يترك وطنه ويذهب

إلى أرض كنعان ، ووعده أن يكثر نسله ويعطيه أرض كنعان ميراثاً ، إن حافظ هو ونسله على إطاعة الله .

من دعوة ابراهيم إلى خروج إسرائيل من أرض مصر

أقام إبراهيم فى أرض كنعان مع ابن أخيه لوط ، ولم يكن لإبراهيم ولد ، وكان أهل كنعان يعبدون الأوثان ، وكان الشر والفساد شائعاً بينهم ، وبخاصة سكان سدوم حيث يسكن لوط . فأخرج الله لوطاً وامرأته وبناته من سدوم وأنزل عليها ناراً من السماء وجعل فى تلك المنطقة بحراً . وأولد إبراهيم وهو ابن مئة سنة اسحق وأولد اسحق يعقوب . وكان ليعقوب اثنا عشر ابنا أصبحوا هم رؤساء أسباط إسرائيل . واشتهر بين هذه الأسباط سبط لاوى الذى منه الكهنة ، وسبط يهوذا الذى كان أشد بأسا من الجميع .

أما يوسف أحد أولاد يعقوب فحسده أخوته وأبغضوه وباعوه للاسمعيليين ، الذين أنزلوه مصر وباعوه هناك عبداً . ورفعه الله إلى أعلى منصب فى مصر . وبعد سنين اضطر يعقوب أبوه بسبب الجوع الذى ساد أرض كنعان أن ينزل إلى مصر مع أهل بيته . وبعد موت يعقوب ويوسف نما بنو إسرائيل فى أرض مصر وكثر عددهم ، حتى أن فرعون خاف عاقبتهم وحاول إبادتهم . وقام موسى بأمر الله لخلاصهم وأظهر معجزات ، مما اضطر فرعون أن يطلقهم .

من خروج بنى إسرائيل من مصر إلى بناء هيكل سليمان :

عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر بعد خروجهم من مصر ، ووصلوا إلى سيناء ، وهناك أعطاهم الله على يد موسى الوصايا العشر والشرائع . وظل بنو إسرائيل فى البرية أربعين سنة بقيادة موسى ، ثم خلفه فى القيادة يشوع بن نون . وحارب يشوع أهل كنعان وانتصر عليهم . ومات يشوع فانتقل الحكم إلى القضاة الذين أقامهم الله من وقت لآخر ، إلى أن اختار لهم شاول بن قيس ملكا عليهم بوساطة صموئيل النبى آخر القضاة .

وبعد موت شاول الملك الأول تولى الملك داود بن يسى وكان نبياً أيضاً . وخلف داود سليمان وهو الذى بنى هيكل أورشليم .

من بناء هيكل سليمان إلى سبى بابل :

بعد موت سليمان جلس أبنه رحبعام على العرش ، غير أن عشرة أسباط من إسرائيل عصوا عليه وخرجوا عن طاعته واستقلوا ، وبقى سبطان تحت سلطته هما: يهوذا وبنيامين ، وانقسمت المملكة إلى قسمين : الشمالى وسمى مملكة إسرائيل وقوامها عشرة أسباط ، وجنوبى وسمى مملكة يهوذا وهى مؤلفة من سبطين . وبقيت مملكة إسرائيل نحو مائتين وخمسين سنة ، وكان أول ملوكها يربعام . وخاف يربعام أن يرجع رعاياه إلى طاعة رحبعام ملك يهوذا ، إذا صعدوا إلى أورشليم فى الأعياد ليعبدوا الله فى الهيكل ، فأقام عبادة كاذبة فى مملكته ، وصنع عجلين من ذهب للشعب عبدوهما بإسم إله إسرائيل ، وحدد أعيادا وعين كهنة لعبادته ، وبذلك أصبحت ديانة مملكه إسرائيل ديانة وثنية ، وظلت هذه الديانة مدة حكمه وحكم خلفائه . وتمسك ملوك إسرائيل بالوثنية التى أسسها يربعام . وأرسل الله إليهم نبياً إثر نبى لكى يرجعهم عن وثنيتهم إلى الطريق المستقيم . وكان أعظم هؤلاء الأنبياء إيليا الذى تنبأ فى أيام آخاب . وأستولى الأشوريون على مملكة إسرائيل ، وسقطت عاصمتها السامرة ، فى أيام هوشع آخر ملوكها ، وسبى شلمناصر ملك آشور الأسباط العشرة وحملهم إلى بلاده ، فتشتتوا هناك ولم يعودوا إلى أرضهم .

وأما مملكة يهوذا فبقيت مائة وثلاثين سنة بعد سقوط مملكة إسرائيل وسقطت عاصمتها أورشليم التى كان فيها هيكل سليمان . ودخلت الوثنية أيضاً تلك المملكة ولذلك أرسل الله لهم أنبياء بين الحين والحين يوبخونهم على ضلالهم ويتهددوهم بعقاب الله الشديد ويتنبأون لهم بمجىء المخلص . وكان إشعيا أعظم هؤلاء الأنبياء . وقام بين ملوك يهوذا من سعى إلى اصلاح الشعب ورده عن وثنيته مثل يهوشافاط وحزقيا ويوشيا ، غير أن الشعب لم يسمع لهم .

وبعد أن تهددهم الله مدة طويلة وأدبهم بضربات شتى بوساطة الملوك الذين حولهم هاجمهم نبوخذ نصر ملك بابل، وحاصر أورشليم فى أيام صدقيا آخر ملوك يهوذا، واستولى عليها وأحرق المدينة والهيكل وسبى الشعب إلى بابل .

من سبى بابل إلى ميلاد المسيح :

بقى بنو إسرائيل فى سبى بابل سبعين سنة كما تنبأ بذلك أرميا النبى. وبعد نهاية تلك الفترة سمح كورش ملك الفرس لليهود أن يعودوا إلى بلادهم، كما سمح لهم بإعادة بناء هيكل أورشليم، ولكن العمل تأخر إلى أيام دارا الذى أمر بإعادة بناء الهيكل. وقام فى ذلك الوقت النبيان حجّى وزكريا وكانا يحثانهم على العمل.

وبعد مضى سنوات قدم النبى نحميا إلى اليهودية بأمر الملك ارتحسستا ملك الفرس، وسعى فى بناء أسوار أورشليم وتنظيم أمورها .

وبعد أن عاد اليهود إلى بلادهم خضعوا لحكم الفرس، ثم لحكم ملوك سوريا، وحكم الرومان، الذين أقاموا هيرودس ملكاً على اليهودية وفى أيامه ولد المسيح.

أسماء الشعب العبرى

عبرى (عبرانى) — يهودى — إسرائيلى :

عبرى :

(عبرانى) (فى العبرية . عبرى والجمع عبريم) : أول ما تقابلنا هـــذه التسمية فى سفر التكوين ١٤ : ١٣ « فأتى من نجا وأخبر أبرام العبرانى » وتفسر فى النص العبرى بمعنى العبور أى الانتقال من شط نهر إلى شطه الآخر أو من مكان إلى مكان.. ويرى بعض العلماء أن اللفظة هى نسبة إلى عابر (بالعبرية : عِـبِر) أحد أجداد إبراهيم (تـكوين ١٠ : ٢١ و ٢٥ ، ١١: ١٤ — ١٧).

ولفظ عبرى كان يدل أولا على غربة الشعب ، وكان يرد على لسان الشعوب التى كان هذا الشعب يعيش بينها متغرباً ، جاء فى تـكوين ٣٩ : ١٤ على لسان امرأة فرعون وهى تذكر يوسف « قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا » ، وفى تـكوين ٣٩ : ١٨ تقول « دخل إلى العبد العبرانى »، ويقول رئيس سقاة فرعون عن يوسف (تـكوين ٤١ : ١٢) « وكان هناك معنا غلام عبرانى » . وفى خروج ١ : ١٦ يقول فرعون للقابلتين «حينما تولّدان العبرانيات » ، وفى خروج ١ : ١٩ « فقالت القابلتان لفرعون : إن النساء العبرانيات لسن كالمصريات »، وفى صموئيل الأول ٤ : ٦ « فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف ، فقالوا ما هو صوت هذا الهتاف العظيم فى محلة العبرانيين » .

فى صموئيل الأول ٢٩ : ٣ « فقال رؤساء الفلسطينيين: ما هؤلاء العبرانيون، فقال أخيش لرؤساء الفلسطينيين : أليس هذا داود عبد شاول ملك إسرائيل الذى كان معى هذه الأيام . . .»، وفى ١٣ : ١٩ ولم يوجد صانع فى كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا : لئلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً ، بل كان ينزل كل إسرائيل إلى الفلسطينيين لـكى يحدد كل واحد سكته ومنجله وفأسه ومعوله » .

وواضح أن الفلسطيبيين يعبرون عن اليهود بكلمة عبرانيين ، ويعبر عنهم صموئيل بلفظة إسرائيل .

وترد لفظة عبرانى فى كلام اليهود عن أنفسهم، وذلك فى سياق كلامهم، حين يريدون أن يفرقوا بينهم وبين الشعوب الأخرى يقول فى تكوين ٤٣ : ٣٢ «لأن المصريين لا يقدرون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين »، وفى تثنية ١٥ : ١٢ « إذا بيع لك أخوك العبرانى أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين، ففى السنة السابعة تطلقه حراً من عندك » . وجاء فى صموئيل الأول ١٣ : ٣ « فسمع الفلسطينيون وضرب شاول بالبوق فى جميع الأرض قائلا: ليسمع العبرانيون، فسمع جميع إسرائيل » ، وفى إرميا ٣٤ : ٩ « أن يطلق كل واحد عبده ، وكل واحد أمته العبرانى والعبرانية حرين ، حتى لا يستعبدهما أحد » ، وفى أرميا ٣٤ : ١٤ « فى نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العبرانى الذى بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك » .

وواضح من هذه النصوص أن المقصود بكلمة عبرى هنا، هو المقابلة بين اليهود وغير اليهود .

ثم تغيير مدلول اللفظة منذ سبى الأسباط العشرة إلى نينوى وتشتتهم فى البلاد، ولم يتبق سوى يهوذا وبنيامين ، أما الأسباط الأخرى فتفرقت بين الشعوب المختلفة، وتسمى الشعب يهوداً نسبة إلى السبط الأقوى، وبطل استعمال لفظة عبرانيين التى كانت تدل على كل الشعب ، وأخذت معنى جديداً .

كان لتشتت الشعب اليهودى بين الشعوب المختلفة ، أثره فى أنهم أخذوا بكثير من عادات الشعوب التى حلوا بينها وأدخلوها على عبادتهم ، وأكثرهم أهمل اللغة العبرية وتكلم بلغة البلاد التى سكنها ، ولهذا فهم يعتبرون يهوداً ، ولكنهم لا يعتبرون عبريين لأنهم لا يتكلمون اللغة العبرية ، واستعملوا الترجمة السبعينية اليونانية بدلا من الأصل العبرى .

ودخل كثير من الوثنيين اليهودية ، وعدهم اليهود منهم ، ولكن اليهود

أرادوا أن يميزوا بين اليهود الأصليين وبين الدخلاء ، ولهذا أصبحت لفظة عبرانيين تدل على اليهود المقيمين فى فلسطين واليهود المتغربين الذين حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم القديمة ، أما اليهود المتغربين الذين فقدوا لغتهم العبرية وعاداتهم القديمة وكذلك الدخلاء فى اليهودية ، فلم يحسبوا إلا يهوداً ،وهؤلاء لايحق لهم الاشتراك فى نعم الشعب الخاصة .

ونلاحظ هذا التميز فى سفر أعمال الرسل ٦ : ١ يقول « وفى تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين ، أن أراملهم كن يغفل عنهن فى الخدمة اليومية » فكلمة عبرانيون هنا استعملت مقابل اليونانيين أى الدخلاء من اليونان . ويقول بولس الرسول فى رسالته إلى أهل فيلبى ٣ : ٥ «من جهة الختان مختون فى اليوم الثامن، من جنس إسرائيل ، من سبط بنيامين، عبرانى من العبرانيين » وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١١ : ٢٢ يقول « أهم عبرانيون فأنا أيضاً ، أهم أسرائيليون فأنا أيضاً ، أهم نسل إبراهيم فأنا أيضاً » ولهذا سميت اللغة بالعبرية لا باليهودية .

فبولس الرسول يقول ، أنا عبرى بالرغم أنه كان رومانى التبعية ، ولكنه اعتبر نفسه عبرياً لأنه كان من أصل يهودى ويعرف اللغة العبرية ومتقناً للعلوم الدينية . وهو يقول عن نفسه فى أعمال الرسل ٢٢ : ٣ « أنا رجل يهودى ، ولدت فى طرسوس كيليكية » .

يهودى :

وهو لفظ منسوب إلى يهوذا أحد أولاد يعقوب الأثنى عشر للدلالة على أحد أفراد هذا السبط ، وظل هذا المدلول مستعملا إلى أن سبي الأسباط العشرة إلى نينوى وبقى من الشعب يهوذا وبنيامين فقط .

ومن ثم حل اسم يهودى محل عبرى للدلالة على نسل إبراهيم .

وهذه التسمية لا تدل على فخر شخصى مثل إسرائيلى أو على الإيمان بالله والتمسك بالعادات القديمة مثل عبرى ، وأنما كان يدل لفظ يهودى على ذلة الشعب وخضوعهم لحكام البلاد التى يسكنوها ، وخجلهم بعد أن انفصلوا عن إخوتهم .

فالأسباط العشرة اتخذوا لأنفسهم اسم إسرائيل وهو اسم سكان الجزء الشمالى من فلسطين ، وتركوا للسبطين الباقيين الأسم الذى يزدرونه فى ذلك الوقت وهو يهودى .

وأول ماوصلنا ذكر هذا الأسم ، وقد سمى به سبط يهوذا وسبط بنيامين ، ما جاء فى ملوك ثانى ١٦ : ٦ « فى ذلك الوقت أرجع رصين ملك أرام أيله للآراميين ، وطرد اليهود من أيلة ، وجاء الآراميون إلى أيلة ، وأقاموا هناك إلى هذا اليوم». واستعمله أرميا عدة مرات ، وذلك قبل رجوع الأسباط . وغلب إطلاقه فى سفر أستير وبعد الرجوع من سبى بابل ، على اليهود الذين فى السبى .

وأطلقت هذه التسمية على كل اليهود ، وذلك بعد أن أنتقل الأسباط العشرة إلى نينوى ، ونسى تسميتهم بعبريين بالمعنى الأصلى ، وأصبح لفظ يهودى اسم جنس يطلق على كل أفراد الشعب ، ولو كانوا من الأسباط العشرة ، بشرط أن يعودوا إلى فلسطين مع الباقين .

ونرى من هذا أن لفظه يهودى قد تغير مدلولها ، على العكس من لفظة عبرى التى اقتصر مدلولها على تمييز اليهودى عن الأجنبى من الشعوب ، ويقول بولس الرسول فى أعمال الرسل ٢١ : ٣٨ ، ٣٩ حين سأله الأمير « أفلست أنت المصرى الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة ، وأخرج إلى البرية أربعة الآلاف الرجل من القتلة ؛ فقال بولس أنا رجل يهودى طرسوسى من أهل مدينة غير دنية من كيليكية » أى أن بولس الرسول يقول بأنه غير مصرى ولا كيليكى بل يهودى وإن كان من مدينة أجنبية . ويقول فى أعمال الرسل ٢٢ : ٣ وهو يدلل على قوميته أمام الأمير واليهود « أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كيليكية» ، وقال فى رسالته إلى أهل رومية ٢ : ٩ ـ ١١ وهو يفرق بين اليهود والأجانب « على كل نفس إنسان يفعل الشر ، اليهودى أولا ثم اليونانى ، ومجد وكرامة وسلام لكل يفعل الصلاح ، اليهودى أولا ثم اليونانى ، لأن ليس عند الله محاباة » ، وفى رسالته إلى أهل رومية كان يقابل دائماً بين اليهودى وغيره من الشعوب ولم يذكر الاسرائيلى بدلا من اليهودى .

وكذلك كانت الشعوب حين تذكر اليهود بالنسبة إليهم، تعبر عن ذلك بكلمة يهودى، فيقول المجوس وهم يسألون عن المسيح « أين هو المولود ملك اليهود » متى ٢ :٢ ولو كان المجوس يهوداً لقالوا « أين هو المولود ملك إسرائيل ». ولما صلب المسيح وضع الرومان على الصليب تهمته وهى « يسوع الناصرى ملك اليهود » (متى ٢٧ : ٣٧) ولكن رؤساء الكهنة لما رأوا المسيح على الصليب قالوا: « إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به » متى ٢٧: ٤٢.

إسرائيلى :

هى التسمية التى يفخر بها اليهود ويعتزون بها . وجاء أول ذكر لهذا الأسم فى الكتاب المقدس، فى تكوين ٣٢: ٢٢ـ ٣١ « ثم قام (يعقوب) فى تلك الليلة ، وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق ، أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له . فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال : لا أطلقك إن لم تباركنى، فقال له ما أسمك، فقال: يعقوب،فقال: لا يدعى أسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب، وقال: أخبرنى ما أسمك ، فقال لماذا تسأل عن أسمى ؛ وباركه هناك » .

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل ، قائلا . لأنى نظرت الله وجهاً لوجه (فنيئيل بالعبرية معناها وجه الله) و نُجيت نفسي، وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه ، لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم ، لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء » .

ومن ثم صار اسم يعقوب ونسلة « إسرائيل » أى مجاهداً مع الله وقادراً . فاجتمع فى دلالة هذا الأسم ما يسبب السرور والرجاء عند اليهود .

فإن نسل إبراهيم يشتركون فيه مع إسماعيل وأولاده ومع أولاد قطورة التى

أخذها بعد موت سارة ومع أولاد أدوم أى عيسو ، أما اسم إسرائيلى فلا يحتمل إلا نسل يعقوب، ودلالته المجاهدة والغلبة والقدرة فى التوصل إلى اتمام الوعود .

ولما كان الله هو الذى أعطى هذا الاسم ليعقوب وغير اسمه القديم ، فإن اليهود فى كل عصورهم يفخرون بهذا الاسم ويميلون إلى استعماله ، لأن فيه دلالة على الوعد والرجاء، وإشارة إلى مجدهم . وهم تحت اسم إسرائيل ينتظرون ملكوت الله والخلاص من أعدائهم .

وكانت كلمة إسرائيل فى عصر المسيح تؤدى معنى المدح والافتخار ، فحين رأى المسيح من يستحق المدح قال « هوذا إسرائيلى حقاً لا غش فيه » يوحنا ١١ : ٤٧ ويقول نثنائيل مخاطباً المسيح « أنت ملك إسرائيل » يوحنا ١ : ٤٩. وفى ابتهال مريم العذراء تقول « عضد إسرائيل فتاة ليذكر رحمة» لوقا ١ : ٥٤ .

وكان رسل المسيح حين يخاطبون اليهود ينادونهم بهذه التسمية حتى يستميلوهم. ورد فى أعمال الرسل٢ : ٢٢ « أيها الرجال الإسرائيليون إسمعوا هذه الأقوال »، وفى أعمال الرسل ٣ : ١٢ « فلما رأى بطرس ذلك ، أجاب الشعب ، أيها الرجال الإسرائيليون ، ما بالكم تتعجبون من هذا » ويتوجه بولس الرسول إلى الشعب بالتعبيرات الآتية على التوالى: أعمال الرسل ١٣ : ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ « أيها الرجال الأخوة ، أيها الرجال الإسرائيليون ، أيها الرجال الاخوة بنى جنس إبراهيم ». ويقول بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية ٩:٣ — ٥ « فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد ، الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد ».

والواقع أن دلالة هذه الألفاظ كما بيناها لا تزال قائمة إلى اليوم ، فلفظة عبرى تدل الآن على ما يتصل بالعادات واللغة العبرية القديمة ، فنقول : اللغة العبرية، أو العادات العبرية الخ . ولا نسمى الآن اليهود بالعبريين . أما لفظة يهود فتطلق

على طائفة من الناس، تعيش بين الشعوب المختلفة فيقال : يهودى ألمانى أو يهودى نمساوى أو يهودى روسى أو يهودى أمريكى وهكذا .

أما لفظة إسرائيل فيعبر بها اليهود الآن عن كل نسل إبراهيم من يعقوب (إسرائيل) بالجسد .

والمصطلح « إسرائيل » فى العهد الجديد وعند المسيحيين عامة يقصد به الكنيسة المسيحية المثلى أو جماعة المؤمنين الحقيقيين بالمعنى الدينى ، وهم يمثلون جميع الشعوب وكل الأجناس .

ومما هو جدير بالذكر أن إسم إسرائيل ورد فى النقوش المصرية القديمة ، وذلك فى أنشودة النصر التى تشير إلى إنتصار مر إن بتاح (منفتاح) فى فلسطين حوالى عام ١٢٢٩ ق . م . على قبائل هناك ، تقول الأنشودة « أما قوم إسرائيل فقد أتلفت بلادهم وخربت » ونستخلص من النص أن الإسرائيليين سكنوا فلسطين فى عصر هذا الملك ؛ ويصف النص بلادهم على أنها جدباء لا أثر للنبات فيها . ولا يجدى هذا النص نفعا فى توضيح خروج بنى إسرائيل من مصر ، ولو أن من الغريب أن تذكر النصوص المصرية لأول مرة الإسرائيليين فى عصر ملك ، كان أبوه هو رمسيس الثانى الذى تحدثت عنه التوراة بأنه استعان بالإسرائيليين فى بناء أكثر من مدينة، وبخاصة العاصمة الجديدة « بيت رمسيس ».

وفى سنة ١٩٦٥ كشفت بعثة جامعة ستراسبرج عن نص فى معبد لامينوفيس الثالث بمنطقة سولب فى النوبة السودانية، فيه ذكر لقبائل الصحراء البدو ومنهم قبيلة « يهوه » من عصر أمينوفيس الثالث (١٤١٣ — ١٣٧٧ ق . م .) . وكان أمينوفيس الثالث قد جعل من نفسه إلها قدس فى المعابد ، وبخاصة معابد بلاد النوبة .

فهل هذا الإسم الذى كشف عنه حديثاً له صلة بإسرائيل أو بقبيلة إسرائيلية ؟

طبقات رجال الدين عند اليهود

ترد فى كتب العهد القديم ألقاب، تدل على وظائف معينة عند اليهود هى:

الآباء:

وهم الذين عاشوا فى عصور قديمة ، ومنهم آدم وشيث وأخنوخ، ممن عرفوا قبل الطوفان.ومنهم نوح وأولاده، ممن عرفوا بعد الطوفان، ومنهم إبراهيم وأسحق ويعقوب، وهم الذين ذكرهم العهد القديم على أنهم أصول لشعوب كبيرة . وهؤلاء الآباء هم رؤساء شعبهم الذين كانوا يدبرون أموره .

الأنبياء الكتبة:

هم الذين أقامهم الله على بنى إسرائيل ليخدموا تدابيره الإلهية ، وقد عاش هؤلاء فى مدة تقرب من ألف عام . وكان هدفهم واحداً وتعاليمهم متفقة ، يتنبؤن ببركات الله على الجنس البشرى .

الكهنة:

هم الذين يتولون تقدمة الذبائح لله ، والتشفع لديه من أجل الشعب . وكان الآباء والأخوة الأبكار والأمراء هم الذين يقدمون الذبيحة من أجل الشعب ، أو كان كل واحد منهم يقدم الذبيحة عن نفسه ، كما هو واضح من تاريخ هابيل وقايين ونوح وأيوب وإبراهيم ، وكان ذلك قبل دعوة هارون . وبعد خروج بنى إسرائيل من مصر ، كان الكهنوت فى يد سبط واحد هو سبط هارون ، وكان على ثلاث درجات : رؤساء كهنة ، وكهنة ، ولاويين .

وكان رئيس الكهنة أعظم الأشراف بين الإسرائيليين ، لأن الله كان يعلن إرادته لبنى إسرائيل عن طريقه . وكانت وظيفته ميراثا فى آل هارون . وكان

البكر ، إذا خلا من العيوب الجسدية ، هو الذى يتولى هذا المنصب . وكانوا يعينوه فى حفل كبير، ويقوم بتقدمة الذبيحة يومياً ؛ وكان يلبس الملابس الفاخرة ، ولاسيما فى يوم الكفارة . وكان يضع فى هذا اليوم صُدرة مرصعة بالجواهر ، وقد نقشت على الجواهر أسماء أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر ، وذلك يرمز إلى أن رئيس الكهنة يحمل مسئولية كل الشعب ، وهذه الزينة هى تذكار للشعب أمام الله .

والكهنة أيضاً من أسرة هارون ، وكانوا يقومون بتقديم الذبائح اليومية تحت إشراف رئيس الكهنة ، ويقومون بالأعمال التى تتطلبها خيمة الاجتماع ، وكان عليهم إرشاد الشعب إلى سُنة الله . وكانوا منقسمين إلى أربع وعشرين فرقة ، وكل فرقة منهم تخدم فى الهيكل أسبوعاً (أخبار الأيام الأول الإصحاح ٢٤)

اللاويون :

وهم من نسل لاوى لا من نسل هارون ، وكانت رتبتهم الكهنوتية أقل من الكهنة ، وكانوا يقومون بمساعدة الكهنة فى الخدمة المقدسة ، وكان هذا المنصب يتقلده نسل موسى وقد يضم إليهم أعضاء جدد لا ينتمون إليهم بصلة النسب. كان اللاويون يجوبون البلاد ليعلموا الشعب ، وكانت لهم عشور ثمار الأرض جزاء على خدمتهم للشعب (عدد ١٨ : ٢١) ، وكانت لهم ٤٨ مدينة بمسارحها لسكنهم ولبهائمهم (عدد ٣٥ : ١ — ٨) .

النثينيم :

أى الموهوبون ، وهم الذين كان يخدمون الهيكل وخيمة الاجتماع ، وكانوا يكلفون بالأعمال الشاقة مثل جمع الحطب وسق الماء . وهؤلاء هم الكنعانيون الذين عفى عنهم ولم يقتلوا (يشوعُ ٩ : ٢١ — ٢٧ وعزرا ٨ : ٢٠) .

المنذورون :

وهم الذين نذروا لعبادة الله الخاصة لمدة أسبوع ، أو شهر، أو سنة ، أو مدى الحياة . وكان شمشون ويوحنا المعمدان منذورين منذ ولادتهما . ومن المنذورين من نذر نفسه اختياراً (أعمال الرسل ١٨ :١٨ و٢١ : ٢٣—٢٦) .

وللنذر قوانين صارمة على المنذر أن يتبعها (أنظر عدد: الإصحاح السادس). وكان الركابيون من المنذورين (إرميا : الإصحاح ٣٥) .

الفرق اليهودية

قامت بين اليهود بعد رجوعهم من السبي البابلي فرق ثلاث كبيرة ، وفرق أخرى صغيرة . وقد ظهرت هذه الفرق بعد ختام أسفار العهد القديم وتقنينها ، أي في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد .

الفرق الكبيرة

الفريسيون :

وأصحاب هذه الفرقة أوسع انتشاراً بين اليهود عن غيرها من الفرق، وهي أكثرها عدداً وأقدمها نشأة : ومعنى التسمية بالعبرية يدل على الإعتزال والفرز والتجنيب ، لأن لهم مكانة خاصة بين الشعب نظراً للقداسة التي تنسب إليهم . وكان معظم علماء السنة والكتبة منهم . وكانوا ينزلون أحاديث الشيوخ وتقاليد الأئمة منزلة تفوق كلام الله . وكانوا يفاخرون بمعرفتهم بأمور الدين ، ويزعمون أنهم يستحقون رعاية الله ، لما كانوا يقومون به من أعمال ، بسبب ولأنهم التزمت لأحكام الشريعة ومحافظتهم على الطقوس ، ويزعمون أن لهم الجنة . ولذلك كان المسيح يصفهم بالرياء ، ويدلل على أنهم أبعد عن الجنة من العشار والزناة .

كان الفريسون يميلون إلى التفاخر والتظاهر وكانوا يباهون باعطاء الصدقات في العلن ، كما كانوا يتميزون بمظهرهم ، فارتدوا أهداب ثياب أعرض مما كان يرتديه اليهودي العادي، وكانوا يهتمون اهتماما زائداً بالناحية الظاهرية والطقسية في الدين حتى أمست رياء ، ولا يمنع ذلك من أنه كان بين الفريسيين من يبحث مخلصا عن الحقائق الدينية . وكان بولس الرسول يعدّ نفسه فريسيا ، يقول في رسالته إلى أهل فيلبي ٣:٥ « من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين ، من جهة الناموس فريسي » . وجاء في محاكمة بولس في سفر أعمال الرسل ٢٣ :٦ ـ ٩ « ولما علم أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون ، صرخ في المجمع: أيها الرجال الأخوة أنا فريسي إبن فريسي ، على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم ، ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين

والصدوقيين ، وانشقت الجماعة ، لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك ، فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين : لسنا نجد شيئاً ردياً فى هذا الإنسان ، وإن كان روح أو ملاك قد كلمه فلا نحارب الله ».

الصدقيون :

فرقة تنكر أكثر تعاليم كتب العهد القديم . ولا يُعرف على وجه التحقيق الزمن الذى ظهرت فيه ، ولا إلى من تنتسب . ويزعم بعض علماء اليهود أن هذه الفرقة تنسب إلى رجل اسمه صدوق أنشأها عام ٢٨٠ قبل الميلاد . وهؤلاء رفضوا التقليد الذى أخذ به الشيوخ، بحجة أن هذا التقليد غير موحى به . ومال الصدوقيون إلى فن الجمال ، وأرادوا أن يخدموا الله — على حد قولهم — مسوقين إلى ذلك بدافع المحبة والشكر لله ، لا ابتغاء مثوبة مرجوة، ولا اتقاء عقوبة متوقعة. واتخذ أصحاب هذه الفرقة بعض الآراء الفلسفية القديمة مثل مذهب أبيقور الفيلسوف اليونانى ، والتى تقول بأن أسمى أهداف الحياة هى اللذة ، واللذة فى رأيهم لا تقتصر على الشهوة الجسدية ، بل تشمل أيضاً لذة الحياة الاجتماعية والإجتهاد العقلى . ويقول الابيقوريون: إن الإنسان إذا وجه جهده نحو بلوغ اللذة والإبتعاد عن الألم فقد جعل اللذة أسمى الأهداف ، واعتبر الألم شر الأمور . وقد جذبت تعاليم أبيقور الكثير من المثقفين ومن الشعب ، واتخذها الشعب وسيلة للانغماس فى حياة الفسق والفجور . وقد رفض الصدوقيون الأسفار المقدسة، ماعدا أسفار موسى الخمسة ، وأنكروا قيامة الموتى ،ونفوا وجود الملائكة وخلود الروح، واعتقدوا بوجود إله قادر على كل شىء ، يُعنى بشعبه عناية فائقة ، ولم يسلموا بالثواب والعقاب فى الآخرة ،وكانوا أقل عدداً من الفريسيين ، ولكنهم كانوا أكثر منهم ثراء وأعظم جاها .

الاسينيون

فرقة من اليهود ظهرت حوالى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد. وقد ذكر المسيح الفريسيين والصدوقيين، ولكنه لم يذكر الأسيليين ، وربما يرجع ذلك إلى أن أماكن سكنهم

كانت بعيدة عن أورشليم، ولم يأتوا إلى الهيكل ليقربوا الذبائح ويسجدوا لله. كانوا يؤمنون بالسعادة بعد الموت، ولـكنهم كانوا يشكون في قيامة الجسد. وكانوا يمتنعون عن الزواج ويتبنون أولاد الفقراء ليعلموهم عقائدهم ويفقهوهم في مذهبهم. وإذا أراد أحد أن ينضم إلى جماعتهم وضعوه ثلاث سنين تحت التجربة، فإذا أمضى التجربة بنجاح، قبلوه في الجماعة بعد أن يتعهد بعبادة الله، وأن يعامل الناس بالعدل، ولا يخفى أسراره عن الجماعة ولا يبوح بها لغيرهم ولو عرض نفسه بذلك للقتل. وكانوا يحتقرون المال ويميلون إلى التقشف ويلبسون ملابس بسيطة ويشتركون في مأكلهم ومالهم. وقد عرفوا بين اليهود بالعمل الشاق والأحسان إلى الفقراء والصدق في القول وإطاعة الحـكام. وكان القَسم الوحيد في حياتهم عند دخولهم في الجماعة، وكانت لا أو نعم يغنيان عندهم عن اليمين. ولم يظهر لهم تأثير على الآراء القومية واتجاهات الفـكر في عصرهم. وقد اشتهرا اسم هذه الفرقة بعد الـكشوف الحديثة منذ سنة ١٩٤٧ في منطقة البحر الميت، وهي نصوص قديمة لبعض كتب العهد القديم كانت بيد هذه الفرقة.

أما الفرق الصغيرة فقد عرفناها من العهد الجديد ومن كتابات يوسيفوس فلافيوس المؤرخ اليهودي، وأهمها ست فرق هي:

السامريون

أو السمرة، وهم في الأصل خليط من شعوب وثنية كان ملك أشور قد أسكنهم أرض السامرة بعد السبي الإسرائيلي، جاء في سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤ « وأتى ملك أشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروايم وأسكنهم في مدن السامرة، عوضاً عن بني إسرائيل، فامتلـكوا السامرة وسكنوا في مدنها». وظلوا على وثنيتهم، ثم التمسوا من ملك أشور أن يرسل إليهم كاهناً من اليهود الذين في السبي لـكي يعلمهم الدين، ولـكنهم كانوا إلى جانب هذا يعبدون آلهتهم الوثنية (ملوك ثاني ١٧ : ٢٦ — ٤١).

ومن المرجح أن هؤلاء اختلطوا بالزواج ببقايا الأسباط العشرة. وبعد مضى

فترة من الزمان أصبح للسامريين الحق بأن يدّعوا أنهم من سلالة إسرائيلية غير كاملة .

وبعد سبي يهوذا . أخذ اليهود يعودون إلى مواطنهم ، فعرض عليهم السامريون أن يعاونوهم فى تجديد بناء الهيكل وأن يتحدوا معهم ، فرفض اليهود هذا الاتحاد رفضا باتا ، وأصبح السامريون أعداء لليهود (عزرا ٤ : ١ — ٦) . وبالرغم من ذلك تزاوج السامريون واليهود. ولما جاء نحميا النبي أمر بتنفيذ الشريعة الموسوية فيما يتعلق بالزواج المختلط ، وهو منع زواج اليهودى بغير يهودية . وقد حدث أن أحد الكهنة اليهود كان متزوجا بابنة رئيس السامريين فطرد من اليهودية، وترأس حركة إنفصالية وتوجه إلى شكيم ، وأخذ يعلم أهل السامرة الطقس الموسوى ، وأقام على جبل جرزيم هيكلا ينافس به هيكل أورشليم .

ثم أخذ السامريون يرجعون بنسبهم إلى الأباء الأولين، وزعموا أنهم هم أيضا من أهل الوعد ، وقبلوا أسفار موسى الخمسة وسفرى يشوع والقضاة ، وأصبحت هذه الأسفار فقط هى كتابهم المقدس . وجدد السامريون عداوتهم القديمة بالأسباط العشرة وبأسرة داود ، وأصبحت شكيم وأورشليم مركزى بث العداء ، تدعى كل منهما لنفسها القداسة .

ولا يزيد اليوم عدد السمرة عن مائة وخمسين يقيمون بمدينة نابلس (شكيم)، وهم يحتفظون بنسخة قديمة من أسفار موسى الخمسة مكتوبة بخط مشتق من العبرى القديم ، ويقيمون ذبيحة الفصح السنوية على جبل جرزيم ، ويحافظون على شريعة موسى مع بعض تعديلات طفيفة .

الكتبة :

ويسمون أيضا بالناموسيين ، جاء فى انجيل لوقا ١١ : ٤٣ — ٤٧ « ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق.

ويل لـكم أيها الـكتبة والفريسيون المراؤون لأنـكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون ، فأجاب واحد من الناموسيين وقال له : يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا . فقال وويل لـكم أنتم أيها الناموسيين لأنـكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل ، وأنتم لا تمسون الأحمال بإحـــدى أصابعكم ، ويل لـكم لأنـكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم . » ولم يـكن الـكتبة فرقة بالمعنى الصحيح ، وكانت وظيفتهم فى الأصـل أن ينسخوا الـكتب المقدسة ، وكان أكثرهم يميل إلى التفقه فى العلوم والفنون ويقومون بتفسير الشريعة ، ويهذبون الشعب .

الهيرودييون :

هم طائفة سياسية أكثر منهم فرقة دينية، وهى لا تميل إلى الأمور الروحية. وهذه الطائفة اليهودية اتخذت كثيرا من العادات الوثنية وذلك لـكى ترضى هيرودوس والرومان. وكانوا يناصرون الأسرة الهيرودية ويتزلفون إلى الرومان . وكان الفريسيون هم خصومهم، لأنهم يتمسكون بكل ما هو يهودى ويقاومون كل ما هو أجنبي. واتفق الهيروديون مع الفريسيين فى عدائهم للمسيح يقول مرقس ٣:٦« فخرج الفريسيون مع الهيروديين وتشاوروا عليه لـكى يهلـكوه . » وجاء فى متى ٢٢ : ١٥—٢١ «حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لـكى يصطادوه بكلمة ، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيروديين قائلين : يا معلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس. فقل لنا ماذا تظن ، أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا . فعلم يسوع خبثهم وقال لماذا تجربوننى يامراؤون . أرونى معاملة الجزية ، فقدموا له ديناراً : فقال لهم لمن هذه الصورة والـكتابة ، قالوا له لقيصر . فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

الجليـليون :

وهى فرقة دينية وسياسية عند اليهود . كان رائدهم الأول هو يهوذا الجليلى الذى ظهر فى سنة ١١ بعد الميلاد ، وخالف أمر أغسطس قيصر فى إحصاء اليهود، فقد قال لأتباعه ليس لليهود ملك إلا الله . وجاء خبره فى أعمال الرسل ٥ : ٣٧

« بعد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الاكتتاب ، وأزاغ وراءه شعباً غفيراً ، فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا » .

الليبرتينيون :

يظن أنهم كانوا طائفة قوامها أرقاء اليهود الذين أعتقهم سادتهم من الرومان، وكان لهم مجمع خاص بهم فى أورشليم على ما يظهر . جاء ذكرهم فى أعمال الرسل ٦ : ٩ « فنهض قوم من المجمع الذى يقال له مجمع الليبرتينيين والقيروانيين والاسكندريين ومن الذين من كيليكيا وآسيا يحاورون استفانوس » .

الغيورون :

وقد عدهم يوسيفوس المؤرخ اليهودى فرقة رابعة مكملة للفريسيين والصدوقيين والأسينيين . وكانوا حزباً سياسياً هدفه مقاومة سياسة هيرودوس والرومان . قاموا بثورة مسلحة فى بدء حكم هيرودوس الكبير بقيادة العازر . وقضى على ثورتهم فى شىء من العنف ، ولكن جذوة الروح الوطنية لم تنطفىء فى نفوسهم . ويظهر أن أحد رسل المسيح كان منهم ، وهو سمعان الذى لقب فى لوقا ٦ : ١٥ وأعمال الرسل ١ : ١٣ بالغيور ، ولقب فى متى ١٠ : ٤ بالقانوى وهو اللفظ العبرى المقابل للفظ غيور .

الهيئات اليهودية

ألف اليهود ، عقب السبي البابلي ، هيئات أهمها : السنهدريم ، والمجمع

السنهدريم .

ويسمى « رجال المجمع الكبير » وهو المجلس الأعلى أو الهيئة الحاكمة لليهود ، وكان له سلطان كامل على الأمور الدينية وعلى المسائل المدنية .

ولم يتعرض الرومان لهذا الاختصاص ، وإن كانوا قد حرموا على السنهدريم سلطة الحكم بعقوبة الموت . وكان هذا المجلس مؤلفاً من اثنين وسبعين عضواً ، أكثرهم من الكهنة والشيوخ ، وكان للمجلس قوة عسكرية من ضباط وجنود ، لهم سلطة إلقاء القبض على المتهمين . وكان رئيس المجلس هو عادة رئيس الكهنة ، وهو يجمع بين السلطة المدنية وبين السلطة الدينية . ولا نعرف على وجه التحقيق تاريخ تكوين هذه الهيئة ، والمرجح أن هذه الهيئة نشأت بتكوين جديد تحت هذا الإسم فى عصر المكابيين (من سنة ١٦٧ إلى سنة ٦٣ قبل الميلاد) .

ويظهر أن هذا المجلس هو الذى حل فى عصر المكابيين محل الهيئة التى كان قد أنشأها عزرا ونحميا ، اللذان وضعا نظاماً لحكومة منظمة فى فلسطين بعد السبي ، عاصمتها أورشليم ، لها رئيس يتولى السلطة الإدارية العليا فى البلاد ، ويساعده مجلس مكون من الشيوخ والكهنة . وكانت هذه الهيئة أوتوقراطية متعصبة ، وهى التى حاكمت المسيح وحاكمت بولس الرسول .

المجمع .

تعذر على اليهود الذين كانوا فى الشتات أن يقيموا العبادة فى هيكل أورشليم ، ودرجوا على الإجتماع فى أماكن معينة للصلاة ، حيث كانوا يقرأون الأسفار المقدسة .

وأدت هذه الظروف إلى إقامة مجمع فى كل مدينة . وكانت أمكنة الإجتماع تبنى على نمط بسيط ، عبارة عن قاعة قبلتها أورشليم . وكانت القاعة تشتمل على تابوت بداخلها ، وفيه نسخة من أسفار العهد القديم . وخلت عبادة المجمع من الطقوس والمراسم .

وكان القارىء يتلو الأسفار المقدسة على مسامع الشعب ، ثم يترك المجال لأى حبر من الأحبار الحاضرين ليتولى شرح ما قرىء ، ثم يعلق عليه .

التقويم عند العبريين

كان للعبريين يومان مختلفان : أحدهما اليوم الطبيعى ، وهو من شروق الشمس إلى غروبها ، وهو النهار . وقد قسمه اليهود المتأخرون إلى اثنتى عشرة ساعة . يقول يوحنا ١١ : ٩ « أجاب يسوع أليست ساعات النهار اثنتى عشرة » .

والثانى اليوم السياسى ، وكان يحسب عندهم ، من غروب الشمس إلى غروبها فى اليوم التالى ، وهو اليوم .

وفى أيام المسيح كان يقسم الليل عندهم إلى أربعة أقسام متساوية ، كل قسم منها يسمى محرساً أو هزيعاً . فالهزيع الأول : ثلاث ساعات تبدأ من الغروب ، والثانى: يبدأ من نهاية الأول وينتهى نصف الليل،والثالث:يبدأ من نصف الليل، وكان يقال له صياح الديك ، والرابع : يبدأ من نهاية الثالث وينتهى عند شروق الشمس ، وكان يقال له هزيع الصباح أو محرس الصباح .

وكان لهم أيضاً سنتان مختلفتان : أحداهما مدنية أو سياسية ، وهى الأصل عندهم . والثانية دينية .

فالسنة السياسية تبـــدأ من شهر ايثانيم الموافق اكتوبر أو تشرين الأول ، والسنة الدينية تبدأ من شهر أبيب الموافق إبريل أو نيسان تذكاراً لوقت خروجهم من العبودية . يقول فى خروج ١٣ : ٤ « اليوم انتم خارجون فى شهر أبيب» ،ومن ثم صار يحسب هذا الشهر رأس سنتهم الدينية يقول فى خروج١٢ : ٢ «هذا الشهر (أبيب) يكون لـكم رأس الشهور . هو لـكم أول شهور السنة ».

وطريقة حساب الأشهر عند العبريين بحساب الهلال ، أى : شهر ٢٩ يوماً وشهر ٣٠ يوماً وهكذا على التوالى . وكانوا كل ثلاث سنين يضيفون شهراً إلى آذار يسمونه آذار الثانى ، وذلك لـكى يساووا بين سنتهم وبين السنة الشمسية .

شهور السنة السياسية	شهور السنة الدينية
إيثانيم	أبيب (نيسان ـ ابريل)
بول	زيو (آيار ـ مايو)
كسلو	سيوان (حزيران ـ يونيه)
طيبيت	تموز (تموز ـ يوليه)
شباط	آب (آب ـ أغسطس)
آذار	أيلول (أيلول ـ سبتمبر)
أبيب	إيثانيم (تشرين أول ـ أكتوبر)
زيو	بول (تشرين ثانى ـ نوفمبر)
سيوان	كسلو (كانون أول ـ ديسمبر)
تموز	طيبيت (كانون ثانى ـ يناير)
آب	شباط (شباط ـ فبراير)
أيلول	أذار (آذار ـ مارس)
	أذار الثانى (وهو يتلو أذار كل ثالث سنة)

الدين والأعياد الدينية عند العبريين

إن احتفاظ الدين العبرى بكيانه هذه العصور الطويلة ، ظاهرة تستحق الوقوف عندها ودراستها .

تختلف آراء العلماء بصدد أقدم مرحلة للدين عند العبريين ، كما اختلفت حول أقدم مرحلة فى تاريخهم، ولعل المشكلة التى تواجهنا هى كيف نضع كل عنصر من العناصر المختلفة المكونة للدين العبرى فى مكانه الصحيح من عملية تطور ذلك الدين.

كان النظام الدينى العبرى كاملا فى جوهره ، ولاسيما من ناحية الطقوس ، وذلك قبل إنشاء الملكية . وكان دخول العبريين فلسطين نقطة تحول فى تاريخ تكون النظام الدينى العبرى ، فقد تحولوا بعد دخولهم من حياة البداوة والرعى إلى الحياة الزراعية المستقرة وإن لم يكن هذا التحول نهائياً أو كاملا .

وبداية الدين القديم هو إيمان الشعب بإله واحد هو « يهوه » الذى أعلن شريعته أو قانونه أو توراته على لسان موسى . ولا يعرف معنى الإسم يهوه على وجه اليقين .

جاء فى سفر الخروج ٣ : ١١ ـ ١٥ : « فقال موسى لله (ألوهيم) : من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بنى إسرائيل من مصر ؟ فقال : إنى أكون معك وهذه تكون لك العلامة إنى ارسلتك ، حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل . فقال موسى لله : ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم: إله أبائكم ارسلنى إليكم فإذا قالوا لى ما اسمه فماذا أقول لهم ؟ فقال الله لموسى . أهيه الذى أهيه (بالعبرية إهيه أشر إهيه) .وقال . هكذا تقول لبنى إسرائيل . أهيه أرسلنى إليكم . وقال الله أيضاً لموسى . هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم: إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم . هذا اسمى إلى الأبد ، وهذا ذكرى إلى دور فدور » .

فإسم الله هو « إهيه » فى العبرية وقد فهمت على أن الإسم فى صيغة المضارع المتكلم من الفعل الناقص « هيى » كان فى وزن المجرد ،ويكون المعنى كما رأى بعض العلماء للحال أى أكون الذى أكون . وذهب آخرون إلى أن المعنى فى الاستقبال أى سأكون الذى سأكون، وهذا يرتبط بقول الله لموسى« إنى أكون معك » . أى سأكون معك كما وعدتك وأساعدك فى إخراج بنى إسرائيل من مصر ، ويكون معناه « سأكون الذى وعدت أن أكون » . أما المعنى الأول « أكون الذى أكون » فقد انتقده بعض العلماء بأنه ميتافيزيقى على نحو لايتفق وعقلية العبريين القدامى ، وعلينا أن نفهم الأمر على أن الله ينسب إلى نفسه صفة البقاء على ماهو عليه فى أفكاره وقراراته ووجوده .

والإسم المألوف لرب العبريين هو «يهوه» . وقد اختلف العلماء فى تفسيره ، فهمه كاتب الآية على أنه صيغة المضارع الغائب فى وزن المجرد من فعل الكينونة أى « يكون » كما أن معنى أهيه « أكون»،ويكون يهوه اسم الله حين يتحدث عنه غيره وأهيه اسم الله حين يتحدث هو عن نفسه . ويرى بعض العلماء أن يهوه فى صيغة أفعل (هفعيل بالعبرية) ويكون معناه يوجد مضارع أوجد أى يخلق، فيهوه هو الخالق.وقد رد على هذا الرأى بأن وزن هفعيل لا يرد من فعل هيى كما أن فكرة خلق يهوه للعالم ليست قديمة ولا ترجع إلى الدين العبرى فى صورته الأولى .

ويرى بعض العلماء أن الجذر الذى اشتق منه إسم يهوه يبدو أنه هوى بمعنى سقط ، فيكون معنى يهوه « المسقط » أن الذى يسقط ببرقه الأعداء والآثمين . ويرى بعض العلماء أن يهوه يتصل معناه بالفعل العربى هوى الذى منه الهواء ، فيكون معناه « يسرى فى الأهوية أو يهب » أى أنه إله العاصفة . وهناك أيضاً تفسيرات أخرى .

ورب العبريين محجوب عن عين الإنسان إلا فى حالات معينة وفى مظاهر خاصة . ويجب ألا يصور بأية صورة ، وليس له مسكن ثابت ، ويمكن أن يكون

فى كل مكان ، فإنه إله شعب بدوى . وليس له أسرة ، وليس بذكر أو أنثى ، وهو مقدس وعادل ، وقد عقد عهداً خاصاً مع إسرائيل ، وجعل من إسرائيل شعبه المختار .

وكان إله إسرائيل يظهر وسط السحب ، ويبدى قوته فى صورة البرق والعاصفة،ويقود شعبه فى تجوالهم مستقراً فوق«تابوت العهد» وهو صندوق مغشى بالذهب من الداخل والخارج مصنوع من خشب السنط ، طوله ذراعان ونصف ذراع ، وكل من عرضه وارتفاعه ذراع ونصف ذراع (فى خروج ٢٥ : ١٠ — ١٧ وصف مفصل لتابوت العهد) . ويعلو التابوت تمثالان لملاكين من طائفة الكروبيم (فى خروج ٢٥ : ١٨ — ٢٢ وصف لتمثالى الكروبيم) ، ويحمله بنو إسرائيل معهم ، فإذا استقر بهم المقام وضعوه فى خيمة ، ولم تستبدل هذه الخيمة إلا حين بنى سليمان الهيكل ، وأدخل تابوت العهد إلى قدس الأقداس فى الهيكل .

والشعب البدوى لا يستطيع متابعة طقوس دائمة منتظمة ، وإنما يحتفل بالأحداث الكبيرة فى حياة الرعى . ولعل تقديم قرابين الحملان فى الربيع أقدم هذه الاحتفالات ، وتربطه الرواية اليهودية بخروج العبريين من مصر ، وهو عيد الفصح .

الفصح :

(من العبرية فسح أى التجاوز) .

ويتصل به أكل الخبز دون خمير ويسمى عيد الفطير أيضاً ، وهو أول الأعياد السنوية اليهودية ، وهو تذكار المحافظة على أرواح العبريين ليلة خلاصهم من العبودية ، حين قتل الملاك بكر كل بيت من المصريين ، وتجاوز عن بيوت العبريين ، لأن أساكف أبوابهم كانت مضرجة بدم خروف الفصح الذى ذبح

مساء . وكانت تلك الليلة آخر السنة الأربعمائة والثلاثين لسكنى العبريين فى مصر من زمن إبراهيم (تسكوين ١٥ : ١٣ ، ١٤ وخروج ١٢ : ٤١ ، ٤٢) وهى ليله اليوم الرابع عشر من شهر أبيب (خروج ١٢ : ٢ — ١٨ ، ٢٣ : ١٥) .

خرج العبريون من مصر — حسب التوراة — فى الشهر الأول من السنة العبرية . وقد سمى شهر أبيب فيما بعد بالإسم البابلى نيسان ، ويقابله أبريل من الشهور الأفرنجية .

ويحتفل اليهود بفصحهم فى الرابع عشر من هذا الشهر بين العشاءين ، أى بين المغرب والعتمة أى الليل . وفى اليوم التالى أى الخامس عشر من أبيب يبدأ عيد الفطير ، أى الخبز بدون خمير ، وهو يمتد سبعة أيام . وفى هذه الصورة التى يعرضها لنا الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج نجد أن عيدى الفصح والفطير منفصلين ، يأتى ثانيهما فى أعقاب الأول .

وإذا تأملنا الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج وبخاصة الآيات التى تتناول فيها الفصح وعيد الفطير وجدناها ترجع إلى مصدرين مستقلين ، المصدر اليهودى الألوهيمى وهو من حوالى سنة ٦٥٠ قدم والمصدر الكهنوتى وهو أحدث مصادر التوراة ويرجع إلى زمن عزرا أى إلى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . فالآيات التى تتناول الفصح وعيد الفطير فى هذا الإصحاح ترجع إلى مصدر قديم لعله أقدم المصادر ، ومصدر متأخر هو أحدث المصادر .

وإذا قارنا بين صورتى الفصح اللتين يعرضهما هذان المصدران ، وجدنا أن الصورة القديمة (الآيات ٢١ ــ ٢٧) تظهر ما يعقب الذبحة من تلطيخ الباب بدمها بواسطة حزمة من نبات الزوفا تغمس فى الدم الذى فى الطست ، كما تنفرد بالنص على تحريم الخروج من البيت حتى الصباح . أما الصورة المتأخرة (الآيات ١ ــ ٢٠ و ٤٣ ــ ٥٠) فهى تعنى بتحديد عدة أمور .

(أ) التحديد الزمنى . يؤخذ الحمل فى العاشرة من الشهر الأول ويذبح فى الرابع عشر بين العشاءين .

(ب) تحديد نوع الذبيحة: حمل سليم ابن ذكر بن سنة من الخراف أو المعز.

(حـ) تحديد قواعد الأكل :لا يؤكل اللحم نيئاً أو مطبوخاً بالماء، ولكن يؤكل مشوياً بالنار ، ويشوى الحمل بأكله دون أن تزال رأسه أو أكارعه أو أحشاؤه .ولا يكسر العظم أثناء الأكل ، ويؤكل اللحم مع فطير وأعشاب مرة ، ولا يبقى من اللحم شيء إلى الصباح ، فإن بقى شيء فليحرق بالنار . ويتخذ الآكلون لباس المتأهب للسفر ، وأكلهم على عجل ، ويكون الأكل داخل البيت ، فلا يؤخذ شيء من اللحم إلى الخارج .

(د) تحديد من يجوز لهم الفصح ، ومن لا يجوز . .

وفى هذه الصورة المتأخرة ذكر للتلطيخ بالدم (فى الآيتين ٧ و ١٣) ،ولكن قواعد الأكل خاصة هى سمتها الطاهرة ، بينما التلطيخ بالدم هو السمة الواضحة فى الصورة القديمة .

وتشترك الصورتان فى أمرين جوهريين :

١ — الفصح احتفال عائلى ، تقيمه كل أسرة داخل بيتها ، ويشرف عليه رب الأسرة ، ويستحيل على المسافر بعيداً عن أسرته أن يحتفل به وحده .

٢ — الفصح وعيد الفطير منفصلان ، ومدة عيد الفطير سبعة أيام تعقب ليلة الفصح .

وهناك مصدر ثالث من مصادر التوراة هو مصدر التثنية (تثنية الاصحاحات من ١٢ إلى ٢٦) ويرجع إلى سنة ٦٢٠ ق . م وهو الأساس الذى بنى عليه الملك يوشياهو ، ملك يهوذا ، إصلاحه الدينى عام ٦٢٢ ق . م،وهذا المصدر يقع من الناحية الزمنية بين المصدر القديم والمصدر الكهنوتى ، ومصدر التثنية (تثنية ١٦ : ١ ــ ٨) يعرض لنا صورة لعيدى الفصح والفطير تختلف فى بعض النواحى الهامة عما عرفناه من المصدرين القديم والمتأخر.

والفرق بين مصدر التثنية والمصدرين القديم والمتأخر هو :

١ — عيد الفصح فى مصدر التثنية لا يتجزأ من عيد الفطير ، وهما معا سبعة أيام أولهما الفصح ، ولكن العيدين فى المصدرين الآخرين مستقلان ، وهما معا ثمانية أيام : يوم لعيد الفصح وسبعة أيام تليه لعيد الفطير.

٢ — عيد الفصح فى مصدر التثنية يحتفل به فى هيكل أورشليم ، لا فى بيوت الأسر المختلفة، كما فى المصدرين الآخرين . وتذهب الأسر كلها إلى الهيكل بقرابينها ، فيتولى الكهنة هناك ذبحها مساء ، وتأكل كل أسرة ذبيحتها ، ثم تعود إلى بيتها فى صباح اليوم التالى لتكمل الاحتفال بعيد الفطير .

٣ — الذبيحة فى مصدر التثنية من الغنم أو البقر ، ولكنها فى المصدر القديم من الغنم (خروج ١٢ : ٢١) وفى المصدر المتأخر، حمل صحيح ذكر ابن سنة من الغنم أو المعز (خروج ١٢ : ٥) .

٤ — تؤكل الذبيحة حسب مصدر التثنية مطبوخة أى مسلوقة بالماء ، ولكن المصدر المتأخر يوجب أكلها مشوية (خروج ١٢ : ٨ ، ٩) ويحرم أكلها نيئة أو مسلوقة (لا يؤكل اللحم نيئاً اجتنابا لما فيه من دم ، فأكل الدم حرام ، وعقاب آكل الدم هو القطع من شعب اسرائيل)، وسبب تحريم الدم هو الاعتقاد بأن نفس كل جسد هى دمه ، يقول فى تكوين ٩ : ٤ « غير أن لحما بحياته دمه لاتأكلوه » . أما المصدر القديم فهو لا يشير إلى طريقة الأكل .

والواقع أن مصدر التثنية أحدث بعض التغييرات الجوهرية فى أحكام المصدر القديم، ويذكر سفر الملوك الثانى فى ٢٣ : ٢١ـ٢٣ الفصح كما أمر به الملك يوشياهو، والمصدر المتأخر أعاد الوضع إلى ما كان عليه قبلاً .

كان الفصح وعيد الفطير منفصلين ويمتدان معاً ثمانية أيام فأدمج مصدر التثنية الفصح فى عيد الفطير وجعلهما معا سبعة أيام ، ولكن أعاده المصدر المتأخر إلى الوضع القديم . وكان الفصح احتفالا عائليا تحتفل به كل أسرة فى بيتها تحت أشراف رب البيت ، فنقله مصدر التثنية إلى هيكل أورشليم وجعله تحت إشراف الكهنة ، ولكن المصدر المتأخر جعله احتفالا عائليا من جديد .

وكانت ذبيحة الفصح من الغنم . فأضاف مصدر التثنية البقر . ولكن عاد المصدر المتأخر فقصرها على الغنم .

ومصدر التثنية يعين سلق اللحم ، ويحدد المصدر المتأخر شيّ اللحم . أما المصدر القديم فلا يعين أحدهما .

ونخلص من هذا كله إلى أن المصدر المتأخر صدى، للمصدر القديم . أما مسألة التلطيخ بالدم التى تبرزها المصدر القديم واهتمام المصدر المتأخر بقواعد الأكل ، فليس هذا خلافا يتعلق بحقائق الموضوع . وإنما هو خلاف فى وجهة الإهتمام. ولهذا نعتبر المصدر المتأخر مكملا للمصدر القديم . ونفيد من تفاصيله العديدة فى تصور الفصح كما كان قديماً .

فعيد الفصح هو احتفال ليلى وتنفرد ذبيحة الفصح بين كافة القرابين ، بأنها تذبح مساء ، ويقع هذا الاحتفال بين غروب الشمس وشروقها؛ وليلة الاحتفال هى ليلة البدر للشهر التالى للاعتدال الربيعى (الوقت الذى يتساوى فيه الليل والنهار والذى يقع فى ٢١ مارس) أى هو احتفال يقام فى مستهل الربيع، وله علاقة بالقمر. والفصح احتفال عائلى يدور حول ذبيحة ذكر من الغنم أو المعز، سليمة من العيوب، مضى عليها حول، تؤخذ فى العاشر من الشهر، وتحفظ فى البيت حتى الرابع عشر، فيذبحها رب الأسرة بين العشاءين عند باب البيت، ويوضع الدم فى طست، وتؤخذ حزمة من الزوفا وتغمس فى الدم لتلطخ به عتبة الباب العليا وقائمتاه، ثم تشوى الذبيحة بتمامها، ويأكلها أفراد الأسرة ومن ينزل منزلتهم مثل العبد المشترى والغريب المقيم إذا ختنا، وذلك دون أن يكسر منها عظما . يأكلونها داخل البيت، فلا يدخل شيء من اللحم إلى الخارج بل لا يخرج أحد من البيت حتى الصباح، وأكلهم على عجل، لكى يأتوا على الذبيحة قبل أن يشرق الصباح أما الحكم بأن يلبس الآكلون لباس المتأهب للسفر فهو ليس حكما أصليا من أحكام الفصح ، وإنما مرجعه ربط الفصح بقصة الخروج ، وإن بقى شيء من الذبيحة يحرق بالنار . ويؤكل اللحم مع فطير وأعشاب مرة .

هذه الذبيحة التى لا تتجاوز العام تمثل باكورة قطيع الراعى من الغنم والمعز ، يقدمها الراعى قربانا إلى القمر ، وهو من آلهة الخصب ، ليبارك قطيعه ويكفل تكاثره فى العام التالى ، واختيرت الذبيحة ذكراً لا أنثى ، لأن ذبح الأنثى ، وهى التى تعطى نسلا ، يتعارض وفكرة التكاثر المرجوة . ويقدم الراعى الذبيحة إلى إله القمر ليلة البدر حين يكون فى أوج مجده ، فوليمة الفصح كانت وليمة قربان مقدم إلى إله القمر ، والمشتركون فيها من أهل البيت ، هم ضيوف على الإله صاحب القربان ، يشاركونه فى طعامه ، فالقرابين هى طعام الله (لاويون ٢١ :٧) ويجددون بذلك ما بينه وبينهم من عهد . وما داموا يأكلون فى حضرة القمر ، فلا بد أن يفرغوا من الأكل قبل أن يحتجب ، ولهذا يأكلون على عجل لكى يأتوا على الذبيحة قبل أن يأتى الصباح ، فإن بقى منها شىء فليحرق بالنار ، لأنه طعام مقدس لا يجوز أن يصيبه الفساد . ولا يجوز كسر عظم من عظام الذبيحة عند أكلها حتى لا يكون ذلك نذيراً بكسر أو ضرر يصيب القطيع خلال العام الجديد ، وإنما يجب أن يبقى هيكل الذبيحة سليماً عند الأكل كما حفظ سليماً حين شوى بتمامه على النار . وعدم كسر العظام أو قطع الرأس يرمز إلى الوحدة التى تؤلف بين المشتركين فى الوليمة . ويؤكل فطير مع اللحم ، أى لا يؤكل خمير . لأن الاختمار ضرب من التعفن والفساد لا يجوز فى هذه الوليمة المقدسة . هذا إلى أن خبز الرعاة هو فى العادة بدون خمير لتنقلهم الدائم من مرعى إلى مرعى (تكوين ١٨ :٦) . وتؤكل مع اللحم أيضاً أعشاب مرة لطرد الأرواح الشريرة من البيت، هذا إلى أن الأعشاب المرة من نبات الصحراء .وطرد الأرواح الشريرة هو الغرض أيضاً من تلطيخ عتبة الباب العليا وقائمتيه بدم الذبيحة بعد ذبحها عند الباب . واستعمال حزمة الزوفا فى عملية التلطيخ له أيضاً جلالته.فإن العبريين كانوا يستعملون هذا النبات فى طقوس التطهير (لاويون ١٤ : ٤ ، مزامير ٥١ : ٦) .

هذا تصورنا للفصح كما كان يحتفل به العبريون قديما ، حينما كانوا بدوا رعاة يعبدون القمر ، ويستنزلون بركته على قطعانهم ، ويبعدون الأرواح الشريرة عن

البيت بالدم والأعشاب المرة . وقد بقيت ملامح هذه الصورة بعد تحول العبريين إلى عبادة يهوه ، ولكنهم صاروا ينظرون الى ذبيحة الفصح على أنها قربان ليهوه دون غيره .

وكان يحتفل بالفصح فى مستهل الربيع ، لأنه موسم النتاج للماشية، فلما انتقل العبريون إلى كنعان ، وجدوا هناك عيداً آخر من أعياد الربيع كان يحتفل به فى بداية الحصاد ، فأخذوه عن الكنعانيين وصار عندهم أساساً لعيد الفطير . وهكذا ارتبط عيد الفصح القديم الذى أتى به العبريون من الصحراء بعيد الفطير الذى لم يعرفوه إلا فى كنعان ، وإن ظلا عيدين منفصلين(سفر الخروج الإصحاح ١٢) .

وتربط التوراة هذين العيدين بقصة الخروج من مصر ،وتفسر بعض أحكامهما بأحداث معينة فى هذه القصة ، فوضع الدم على الباب يراد به أن يكون علامة يراها ملاك الرب فيترك مساكن العبريين دون أن يصيبها بأذى ، واتخاذ لباس المتأهب للسفر أثناء أكل الذبيحة سببه العجلة التى صاحبت الخروج، وأكل الفطير سببه أن العبريين حملوا عجينهم قبل أن يختمر ، لأنه لم يمكنهم التأخر .

وهكذا تربط التوارة عيد الفصح بقصة الخروج مع أنه أقدم منها ،وتربط عيد الفطير بها أيضاً مع أنهم لم يعرفوه إلا بعد ذلك فى كنعان . ومنشأ هذه الرابطة هو أن سبب الخروج كان الرغبة فى الاحتفال بالفصح فى الصحراء(خروج٥:١ــ٣) ففسرت بعض أحكام الفصح ببعض أحداث الخروج .

والتوراة لا تصرح بأن سبب الخروج كان الرغبة فى الاحتفال بالفصح خاصة، ولكنها تنص على أن العبريين كانوا يريدون الخروج بعيداً فى الصحراء ،بأسرهم وقطعانهم كلها ، ليحتفلوا هناك بعيد للرب يقدمون فيه الذبائح له ، فلعل هذا العيد هو الفصح وقد أراد العبريون أن يحتفلوا به فى الصحراء ، لأنه عيد بدوى فى الأصل ، وأرادوا أن يخرجوا بأسرهم وقطعانهم كلها للاحتفال به ، فتقيم كل أسرة احتفالها العائلى الخاص ليبارك الرب قطيعها . ولما أبى فرعون أن يطلقهم

رغم ما ابتلى به الرب أرض مصر ، عبر الرب أرض مصر فى الرابع عشر من الشهر الأول ليلا وأهلك كل بكر فى أرض مصر من الناس والبهائم ، ولكنه تجاوز بيوت بنى إسرائيل ، حين رأى عليها علامة الدم ومعنى هذا أنه حين حل الرابع عشر من شهر أبيب موعد الذبح ، دون أن يستطيع العبريون الاحتفال به ، عاقب الرب قوم فرعون فى تلك الليلة نفسها . فوقوع العقاب فى تلك الليلة دليل على أن العيد الذى كان العبريون يريدون الاحتفال به هو عيدالفصح ، لأن ميعاد الفصح هو تلك الليلة من كل عام .

ونوع العقاب الذى أنزله الرب فى تلك الليلة ، وهو إهلاك كل بكر من الناس والبهائم ، يشير إلى أن العبريين كانوا يريدون بواكير قطعانهم ذبائح للرب ، فلما حيل بينهم وبين ذلك ، أهلك الرب كل بكر من بهائم المصريين ، وكل بكر من أبنائهم أيضا ، فنوع العقاب يشير إلى أن ذبيحة الفصح باكورة .

الخمسين :

ويسمى عيد الأسابيع (بالعبرية : شابوعوت) ، ويسمى أيضاً عيد الحصاد .

يقع فى اليوم الخمسين بعد ثانى الفصح أى بعد الفصح بسبعة أسابيع ، وهو السادس من شهر سيوان ، وسمى بالحصاد ، لأنه يقع عند نهاية حصاد القمح ، وكانت باكورته تقدم للرب على صورة رغيفين من أنقى الدقيق مع ذبائح وشكر . وكانت الذبيحة فى العيد سبعة حملان حولية وعجلا وكبشين محرقة وخروفين حوليين ذبيحة سلامة وماعزا ذبيحة خطية (لاويون ٢٣ : ١٥ — ٢٢) ، وكانوا يتركون لقاط الحصيد للمساكين والغرباء .

المظال :

وهو بالعبرية سُكُّوت .

وهو عيد للعنب ، ويحتفل به تذكاراً لرحمة الله فى حماية العبريين فى البرية ، ولذلك يسكنون فى هذا العيد سبعة أيام فى خيام من أغصان الشجر تذكاراً لسكنى

آبائهم الأولين فى البرية من ١٥ إيثانيم إلى ٢٢ منه ، وإيثانيم هو الشهر الأول من شهور السنة السياسية . وفى غرة هذا الشهر يعيدون عيد الأبواق ، وهو عيد الانتصار والفرح . وفى اليوم العاشر منه يوم الكفارة (لاويون ٢٣ : ٢٧ ، ٣٤ — ٤٣ ، تثنية ١٦ : ١٣ — ١٥) .

وكان على كل ذكر زاد سنه عن اثنتى عشرة سنة أن يحضر أمام الرب فى هيكله فى الأعياد الثلاث : الفصح والخمسين والمظال (تثنية ١٦ : ١٦) .

رؤوس الشهور :

أو الأهلة .

كان يحتفل بها ، ولها ذبائح معينة . ويحتفل بها الكهنة بالنفخ فى أبواق من الفضة (عدد ١٠ : ١ ، ٢٨ ، ١١ — ١٥) .

يوم الكفارة :

(بالعبرية كپور) .

هو اليوم العاشر من شهر إيثانيم ، ويمتاز هذا اليوم بالذبيحة السنوية. وكان على الكاهن أن يقرب ثوراً كفارة لخطايا أهل بيته ، ثم يقرب ماعزين كفارة لخطايا الشعب .

وكانت الطريقة المتبعة أن الكاهن بعد أن يعترف بخطايا الشعب فوق رأسى الماعزين ، يذبح أحدهما ويقربه وقوداً كما فى الذبيحة اليومية ؛ وأما الآخر فيؤخذ بعد أن يحمل خطايا الشعب إلى البرية حيث يترك هناك (لاويون : إصحاح ١٦) .

وكانوا يصومون فى هذا اليوم، وكانت صلاة الاعتراف بالخطايا فى تقديم ذبيحة خاصة هى « يارب أنى أخطأت وأثمت وعصيت ، ولكنى راجع بالتوبة إليك ، وآمل أن يكون ذلك كفارة لى » .

أما فى يوم الكفارة فتكون صلاة الاعتراف بالخطايا هى: «يارب إن شعبك بنى إسرائيل قد فعلوا السوء وأخطأوا أمامك، فأسألك الآن أن تعفو عن الخطايا والآثام والذنوب التى ارتكبها وأساء وأثم بها أمامك الشعب بيت إسرائيل . كما هو مكتوب فى ناموس عبدك موسى : أنه فى ذلك اليوم يقيم لكم كفارة لينقيكم ، ولتطهروا من جميع آثامكم أمام الرب » .

سنة العطلة :

وهى كل سنة سابعة عندهم ، وتسمى سنة الإطلاق أيضاً ، وكما كان الشعب فى السبت يمتنع عن العمل ويخصصونه لله ،هكذا كانت سنة العطلة عندهم لتذكرهم أنهم وأرضهم للرب . وفى هذه السنة كانت الأرض لا تحرث،والكرم لا يقضب، وكانت تسمى هذه السنة بسبت الأرض (لاويون ٢٥ : ٦) ، وكان يعفى فيها عن المديونين ويتنازل الدائن عن دينه (تثنية ١٥ : ٢ — ٩) أما الأجنبى فيطالب بدينه ، وتسمى هـذه السنة بسنة الإبراء أى إبراء للرب . وكان على العبرى الذى استرق عبريا وخدمه ست سنين فى السنة السابعة يطلقه حراً (تثنية ١٥ :١٢)، وقد وعدهم الله أن يفيض خيراته فى السنة السادسة،فتثمر الأرض غلة ثلاث سنين (لاويون ٢٥ : ٢٠ ــ ٢٢) ، وكانوا فى هذه السنة يعلمون الشعب التعاليم الدينية (تثنية ٣١ : ١٠ — ١٣) .

اليوبيل :

أى الهتاف ، ومعناها فى الأصل الكبش،لأن إعلان بدئها كان بالنفخ فى بوق مصنوع من قرن الكبش ، وهو عام للراحة يقع كل خمسين سنة ،وكانوا يتنازلون فيه عن ديونهم وعن الرهائن ويطلقون سراح العبيد والأسرى.وكانوا يبشرون مساء يوم الكفارة بخبر اليوبيل ، وكانوا يسترضون الله ويستغفرونه بالذبائح ثم يشهرون الحرية . وكان الهدف من هذا اليوبيل رفع الظلم المستمر على المساكين والعبيد ، وكانوا يتنازلون عن الأملاك العقارية أو الأراضى التى يكونون قد اشتروها من عبريين ، فيحدث نوع من التوازن فى الثروة بين اليهود ، ويحتفظ كل سبط بأملاكه .

يوم السبت :

(ومعناه بالعبرية : الكف عن العمل أو الراحة) .

وهو عندهم أهم الأعياد الدينية ، وهو اليوم السابع من الأسبوع ، وكان يحتفل به على أنه يوم راحة. وفى هذا اليوم كان على اليهود أن يميدوا فيه لله ويحتفلون به . وهو يعتبر تذكاراً لعتقهم من عبودية المصريين . وكانت تتضاعف فيه الذبيحة اليومية ، فيقربون كل مرة خروفين (خروج ٢٩ : ٣٨ — ٤٢ ولاويون ٦ : ٩ وعدد ٢٨ : ٣ — ١٠) .

هذا ويلاحظ أن الذبائح عند العبريين كانت لأهداف مختلفة . وقد عين الله المذبائح خمسة أنواع هى : البقر والغنم والمعزى والحمام واليمام .

وكانت الذبيحة التى تقدم يومياً ، هى خروف بلا عيب ، ويقدم وقوداً لله للتكفير عن خطايا الشعب ، وكان ذلك طول السنة: كل يوم صباحاً ومساء .

وكان الكاهن قبل ذبح الخروف يعترف بخطايا الشعب فوق الخروف ، وينقل الخطايا إلى الخروف، وذلك عن طريق وضع وكلاء الشعب أيديهم على رأس الخروف، ثم يقوم الكاهن بذبحه ، ويقدمه وقوداً عنهم . وفى أثناء ذلك تسجد الجماعة فى المكان ، ويبخر الكهنة على المذبح الذهبى، وهم يقدمون الطلبات لله عن الشعب .

*

* *

بعد أن استقرت القبائل العبرية فى فلسطين ، أخذت الكثير من الحضارة الكنعانية . ويستنكر سفر القضاة الإبتعاد عن شريعة موسى (قضاة ٢ : ١ — ١٣) .

وأدى اتصال العبريين بالشعوب الأخرى، إلى تدعيم إخلاصهم ليهوه إلها قومياً لهم ، والأحداث التى أوردها سفر القضاة تدل على الصراع بين يهوه وآلهة الكنعانيين .

وفي عهد شاءول وداود شهدت الملكية تدعيماً لدين يهوه ،ونقل تابوت العهد إلى أورشليم فتركز الدين القوى فى العاصمة القومية . وفى عصر داود اتفقت مثل الكهنة مع مثل الملك ، وبفضل هذا الانسجام نممت إسرائيل زمناً بالإزدهار الدينى . وفى عصر سليمان حدث صراع بين الولاء السياسى والولاء الدينى ؛ لأن سليمان – على الرغم من تقديمه أرفع آيات الإجلال ليهوه ببنائه الهيكل — قبل صوراً أجنبية من العبادة ، فأدى هذا إلى وضع حد للانسجام بين الكهنة وبينه ، وكان سبباً فى الأزمة الدينية .

وشهد عصر المملكتين نتيجة هذا الصراع بقيام قوة دينية جديدة هى قوة الأنبياء .وكانت حركة الانبياء تهدف، إلى وقف عملية الاندماج فى الدين الكنعانى، التى كانت تسير بالتدريج ، وإلى حث المؤمنين بالعودة إلى التقاليد القديمة ، حتى يستمر دين يهوه وتثبت دعائمه ، حتى يصبح دين يهوه هو القوة الوحيدة التى تمنع انحلال الشعب العبرى ، فلولا دين يهوه لزال هذا الشعب إلى الأبد .

ويسمى النبى فى العبرية « نابى » ، قد اختلفت الآراء حول معنى هذه الكلمة ، فمن العلماء من أراد أن يجد صلة بينها وبين الكلمة المصرية القديمة « نب » بمعنى سيد ، ومنهم من فسرها بمعنى « مدعو » أى من يدعوه الله . فالله يختار النبي ويوحى إليه ليحمل رسالته إلى الناس ، والنبى يضع نفسه فى خدمة الله ، ومن هنا كان يسمى أيضاً « رجل الله » .

وهكذا كانت النبوة فضلا يسبغه الله ، فكانت — كما تقول التوراة — تأتى إلى النبى من تلقاء نفسها ، على غير توقع أو رغبة ، فهى ظاهرة جبرية . وكان الأنبياء فى كثير من الأحيان يتحدون فى جماعات ، ويكونون فريقا من رجال الهيكل .

وكان من يتلقى دعوة النبوة يذهب إلى السوق أو الهيكل أو القصر ، وينادى بما دعى إليه ، سواء أكان سامعه من عامة الناس أم كاهنا أم ملكا . وكانت دعوته تدور حول محورين أساسيين : من جهة يدعو فى إصرار إلى الوحدانية الخالصة ،

ويرفض كل نوع من أنواع التساهل أو التراخى مع العبادات الأجنبية أو الوثنية ، وكان من جهة أخرى يدعو إلى صلاح الأخلاق ، ويندد بالتهاون الخلقى الذى لم يكن فى حقيقة أمره سوى نتيجة للتهاون الدينى . ولم يغفل فى دعوته أيضاً التنبؤ بالعقاب الذى سيقع إذا لم يسمع قوله .

وتطورت أفكار الانبياء الدينية ، فرؤيا إيليا على جبل حوريب ، كما يصفها سفر الملوك الأول (١١:١٩ — ١٣) « فقال (الرب) ، أخرج وقف على الجبل أمام الرب ، وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال و كسرت الصخور أمام الرب ، ولم يكن الرب فى الريح . وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب فى الزلزلة . وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار . وبعد النار صوت منخفض خفيف . فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه ، وخرج ووقف عند باب المغارة ، وإذا بصوت إليه يقول : لماذا أنت هنا يا إيليا ؟ » رؤيا تظهر فى وضوح ازدياد الناحية الروحية فى فكرة الله . فهو لا يزال مشخصاً ، ولكن أخذ تصوره بصورة إنسان يقل شيئاً فشيئاً ، وأخذت مظاهره تنتقل بالتدريج إلى التخيل .

وهناك أفكار دينية صورت قديما فى جلاء — إلى حد ما — صارت الآن أكثر تحديداً وتعريفاً ، وذلك مثل فكرة الخلق ، وما كان الإنسان فيه من نعيم أول الأمر ، وعواقب خطيئة آدم ، وقد تحددت إلى ماينتظره المرء بعد القبر . وفكرة المسيح المخلص ، التى كانت تظهرها الأزمات السياسية من حين إلى حين ، خرجت إلى الصدارة فى وضوح حين زال ملك إسرائيل ويهوذا ، ويعبر عنها إشعياء فى ١١ : ١ — ١٠ « وسيخرج قضيب من جذع يسى (أبى داود) ، وينبت غصن من أصوله ، ويحل عليه روح الرب : روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب . وتكون سعادته فى مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه ، ويكون البر منطقة متنيه ، والأمانة منطقة حقويه ، فيسكن الذئب مع الحمل ، ويربض النمر مع الجدى ، والعجل والشبل والماشية المسمنة معا ، وصبى

صغير يسوقها . والبقرة والدبة ترعيان ، وتربض أولادهما ، والأسد كالبقر يأكل تبناً ، ويلعب الرضيع على جحر الصل ، ويمد الفطيم يده إلى كن الأفعوان ، لا يسوؤون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى ، لأن الأرض امتلأت بمعرفة الله ، كما تغطى المياه البحر ، ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب ، تسعى إليه الأمم ، ويكون محله مجداً » .

وكان أمل المسيح المنتظر شوقاً إلى عودة ملك داود ، الذى كان يعد عصراً ذهبياً تزول به مصائب الحاضر ، وقد استمر هذا الأمل طوال تلك المرحلة من التفكير الدينى عند العبريين ، وصار نقطة البداية للوحى المسيحى .

والتطلع إلى المسيح المنتظر ، ليس فى جوهره سوى التوكل العبرى الدائم على عهد الله . فالعهد الذى عقده الله مع إبراهيم يتكرر ويتجدد طوال العصور ، وهو فى مرحلته الأخيرة هذه يعد الإسرائيليين — جزاء صبرهم ووفائهم وقت المحنة التى جرتها عليهم عودتهم إلى الإثم — بقدوم عصر سعيد ، يزول فيه كل خوف ويسود العالم الأمن والمحبة .

وفى زمن السبى طهرت المثل الدينية لإسرائيل وسمت من عدة أوجه . فزوال الشعب من الناحية السياسية ، أتاح للفكر العبرى أن يدرك بوضوح ان يهوه هو الإله الواحد الأحد للعالم والبشر جميعاً . ثم إن شقاء السبى ، وانقطاع طقوس الهيكل جعلا الإسرائيليين يعودون إلى الله ، ويشغلون بالمعنى الباطن للدين . وفسرت مصائب الشعب على أساس دينى ، بأنها تجربة للتطهير تهيىء الشعب للنهوض من جديد عن جدارة .

وإلى جانب هذا البعث فى الشعور الدينى ، حدث تطور فى الدين المقنن ، والموضوع فى صيغ ثابتة . ويعتبر حزقيال الكاهن النبى هو ممثل الربط بين مثالية النبوة وتقنين الكهنوت . ومن النتائج الطبيعية لأحوال السبى ، أن وجه الكهنة اهتمامهم إلى دراسة الشريعة دراسة منظمة ، فأدى بهم هذا إلى أن يتولوا نشر الأسفار المقدسة ، فجمعت هذه المصادر التقليدية لتاريخ العبريين ودينهم ورتبت فى أجزاء ثلاثة : التوراة والأنبياء والكتابات ؛ حتى تنقل نقلا أميناً إلى الأجيال التالية .

ولما عاد الإسرائيليون من السبي بعد انتصار كورش ، وبنوا الهيكل من جديد ، بدا أن هناك ما يبشر بأن تتحقق آمال أهل السبي ، وتخرج خططهم إلى حيز الوجود ، ولكن لم يقدر لهم أن يعيشوا فى سلام . فقد تتابعت الاضطرابات والأزمات ، وانتهى فى الواقع تاريخ الشعب اليهودى باعتباره وحدة مستقلة ، فإن نهضة المكابيين لم تكن سوى مرحلة عابرة .

ويمكن التمييز بين اتجاهين دينيين بارزين بين اليهود ، وهم على عتبة مصيرهم الجديد : اتجاه له طابع نبوى ، واتجاه آخر له طابع كهنوتى . فالاتجاه الأول أقرب إلى النفس وأشمل للبشر ، والإتجاه الثانى أكثر اهتماماً بالظاهر والتعلق بالقومية . وقد قدر لليهودية أن تتطور بالتفاعل بين هاتين القوتين . فالروح الوطنية قدر لها المحافظة فى حرص على الأشكال القديمة طوال العصور ، ونظرة النبوة قدر لها أن تتطور إلى حركة شاملة للعالم ورثتها المسيحية .

وحرم الدين التصوير أو تمثيل الله ، وقضى هذا التحريم على إمكان التطور الفنى ، إلى حد اضطر معه سليمان عند بناء الهيكل إلى الإستعانة بالفنانين الأجانب . ولم يتمكن التصوير أو النحت من التطور ، لأنهما يستمدان وحيهما من الموضوعات الدينية قبل كل شىء .

كتاب العهد القديم

كان الجهد الأساسي للعبريين منذ أقدم العصور موجها إلى حفظ الأسفار التي تضم تاريخهم القومي ودينهم ونقلها إلى الأجيال اللاحقة . وقد وصلت الينا نتيجة جهدهم الدائب فى صورة كتاب، أو بتعبير أصح، مجموعة كتب هى أعظم عمل أدبى للعبريين فى العصور القديمة ، ونعنى به — كتاب العهد القديم .

ولم تحفظ على هذا النحو جميع آثار الأدب العبرى القديم ، فأسفار العهد القديم نفسها تشير إلى المصادر التى أستمدت منها مادتها . وهذا إلى أن المخطوطات العبرية التى كشفت أخيراً بالقرب من البحر الميت تضم ، عدا بعض نصوص العهد القديم، كتابات أخرى ليست فيه :

والسبب الرئيسى الذى دعا العبريين إلى أن يحفظوا فى كتاب العهد القديم الأسفار التى تضمها دون غيرها ، هو أن الهدف من تصنيفه كان دينياً لا أدبيا فأختيرت الكتب التى تصلح للتعليم الدينى ، أى التى تشتمل على تعاليم دينية وتاريخ دينى ، وأدرج فى التاريخ الدينى تاريخ الشعب اليهودى من حيث هو تاريخ للعهد بين الله وإسرائيل .

هذه النظرة إلى التاريخ ، أدت إلى أن تعرض تعاليم التوراة فى صورة يمكن أن نصفها بأنها صورة قصصية ، لا على نحو منهجى . فالتعاليم القانونية والخلقية والتعليمات العملية ودعوات الانبياء ، عادة حسب ورودها فى وصفها التاريخى .

يبدأ العهد القديم بأسفار موسى الخمسة . وأول هذه الأسفار ، وهو سفر التكوين ، يحدثنا عن أصل العالم والبشر ، ويتتبع تاريخ الإنسان حتى تكون نواة الشعب العبرى بأبراهيم وأسرته ، ويحكى هجرات أجداد العبريين إلى فلسطين وأخيراً إلى مصر .

والسفر الثانى ، وهو سفر الخروج ، يسوده شخص موسى ، ويحكى قصة الخروج من مصر وإعلان الشريعة من جبل سيناء والسفران التاليان ، سفر اللاويين وسفر العدد؛ يحتويان على مزيد من أحكام الشريعة ، وأغلبها ما يتصل بالطقوس، ويواصلان حكاية التجوال فى الصحراء حتى الوصول إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن .

وآخر الأسفار الخمسة ، وهو سفر التثنية ، يورد أحكاماً أخرى للشريعة على أنها آخر ما فرضه موسى قبل موته ، وأرض الميعاد على مرأى عينيه .

هذه هى الصورة التى وصلت بها الأسفار الخمسة إلينا . وهذه الأسفار هى القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين العبرى بأسرها ، ولكنها تنطوى على أخطر المشاكل النقدية : وإن تفسير أقدم تاريخ سياسى ودين للعبريين يعتمد كله على تاريخ تأليفها ، وتحديد مصادرها وتاريخها ، والقيمة التى تملقها عليها ؛ فلا عجب إذا كانت موضوع جدل معقد :

وتنسب الرواية اليهودية والمسيحية القديمة تأليف الأسفار الخمسة فى صورتها الحالية إلى موسى ، وهذا يجعلها فى صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف والترتيب الزمنى لمادتها أيضاً . وكذلك ظن أن بقية أسفار العهد القديم ألفت بالترتيب الذى نراها عليه الآن

ولكن صعوبة قبول هذا الترتيب فى التأليف أدت ، قرب نهاية القرن الثامن عشر . إلى فحص نقدى شامل للموضوع . وأوفى بيان لنتائج الأبحاث التى تلت ذلك هو الذى صدر عن العالم الألمان « ولها وزن » . وقدعكس الترتيب التقليدى لتأليف أسفار العهد القديم . ونسب إلى زمن يلى موت موسى بعدة قرون تأليف الأسفار الخمسة الأولى خاصة . أو بالأحرى الأسفار الستة الأولى (وفيهم سفر يشوع) . لأن سفر يشوع يدرج فى هذه المجموعة نفسها على أنه جزء منها .

الأختلافات فى الأسماء التى يشار فيها إلى الله ، وتكرار بعض القصص

والفروق البينة فى اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة ، كل هذا أقنع العلماء الناقدين بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى ، كانت فى الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة . وقد حددت أربعة مصادر أساسية : المصدر اليهوى وقد ألف حوالى سنة ٨٥٠ ق . م فى مملكة يهوذا . وسمى كذلك لأنه يستعمل أسم العلم يهوه . والمصدر الإلوهيمى لأنه يستعمل أسم إلوهيم . وقد ألف حوالى سنة ٧٧٠ ق . م فى المملكة الشمالية . وقد أدمج هذان المصدران فى مجموعة واحدة حوالى سنة ٦٥٠ ق . م ، ومصدر التثنية وقد ألف وأعلن العثور عليه زمن الملك يوشيا هو ، ملك يهوذا سنة ٦٢٠ ق . م . وكان أساساً لاصلاحه الدينى . والمصدر الكهنوتى . وهو يرجع إلى زمن عزرا . وقد أدمج فى المصادر السابقة حوالى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد . وكانت النتيجة أخيراً الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى . وأثرت هذه النظرية فى الروابط بين جميع أجزاء العهد القديم . فأسفار الأنبياء والأسفار التاريخية لأبد أنها خرجت إلى الوجود بهذا الترتيب قبل التصنيف الأخير للاسفار الخمسة . ولكن لم تقبل على أنها أسفار مقدسة إلا فى تاريخ متأخر . فترتيب التأليف كان على هذا النحو : أسفار الانبياء فالأسفار التاريخية فالأسفار الخمسة . ولكن جمع العهد القديم بدأ بالأسفار الخمسة، وبعدها أضيفت الأسفار الأخرى ، لا بترتيب التأليف ، ولكن بترتيب منهجى حسب مادتها .

هذه هى نظرية «ولها وزن» التى سادت الميدان العلمى سنين عدة دون معارضة تذكر ، ولكن بتقدم العلم ، وبفضل الأدلة الأثرية الجديدة خاصة . أعيد النظر فيها مرة بعد أخرى. فبمقارنة مادة العهد القديم بمصادر ما بين النهرين ، ولا سيما القانونية منها ، والمصادر الأوجرتية وغيرها . تبين أن الأسفار الخمسة ، أو على الأقل جزءاً كبيراً من المصادر التى جمعت منها ، أقدم مما ظن« ولها وزن» .

ومن هنا نجد أن الدراسات الحديثة للعهد القديم عدلت نظام « ولها وزن» من عدة وجوه ، وإن لم تستبدل به نظاما يقارن به ، فنجد أولا أنه بفضل أبحاث

المدرسة السويدية خاصة « إنجنل » اتجه النظر إلى أن وسائل النقد الأدبى لا تكفى دون سند آخر ، وإلى أنه من الضرورى أن ندخل فى اعتبارنا آثار الرواية الشفوية التى قد تتناقل القصص فى كثير من الاحيان زمنا طويلا قبل تدوينها، وأن ننظر إلى الكتاب الذى نشأ عن ذلك . على أنه مكون من طبقات مختلفة ، ومجموع من مصادر متباينة .

ونجد أن عناصر النظام قد عدلت،فقسم المصدر اليهوى قسمين ،وسمى المصدر الجديد منهما : علمانى لخلوه من الأفكار الكهنوتية ، كما اقترح أساس مشترك للمصدرين اليهوى والإلوهيمى، واقترحت تقسيمات أخرى للمصادر ، وقدم تاريخياً مصدر التثنية والمصدر الكهنوتى .

ويوافق العلماء الكاثوليك على أن الأسفار الخمسة قد تكون جمعت من مصادر مختلفة ، وربما اشتملت على تغييرات وإضافات متأخرة ، ولكنهم يصرون على أنها صادرة أساساً عن موسى .

والمشاكل المتعلقة بتأليف بقية أسفار العهد القديم هى عامة أقل خطورة من المشاكل المتعلقة بالأسفار الخمسة ، وهى خاصة أقل أثراً منها فى تفسير التاريخ والدين عند العبريين .

فالأسفار التاريخية تواصل تاريخ « الشعب المختار » من حيث انتهت الأسفار الخمسة ، وتسير به على نحو يتفاوت كمالا واتصالا حتى القرن الثانى قبل الميلاد . فقصة فتح كنعان على يد يشوع تحكى فى السفر الذى يحمل اسمه . ويحدثنا سفر القضاة عن الفترة التى توطد فيها الفتح ، مع تراوح فى اليمن والتوفيق ، فى ظل زعامات عارضة لأبطال محليين يسمون القضاة . ويشتمل هذا السفر على بعض نصوص موغلة فى القدم ، كأغنية النصر التى أنشدتها دبوره (قضاة : الإصحاح الخامس) .

وتمدنا أسفار صموئيل والملوك بسلسلة من القصص المفصلة عن فترة المملكة الموحدة ، ولا سيما عهد داود ، وتعطينا صورة عامة عن تاريخ المملكتين المنفصلتين ، تشتمل على معلومات أقل ، إلا فى الفترات التى اهتم بها المصنف

اهتماماً خاصاً ، وكان يكتب من وجهة نظر دينية . ومن المحتمل أن هذا القسم من تصنيف بعض رجال طبقة الكهنة ، وأنهم صنفوا أيضاً سفرى أخبار الأيام اللذين يوردان صورة مكملة موازية عن تاريخ مملكة يهوذا .

وينتهى التاريخ المتصل الذى يعرضه العهد القديم بسقوط المملكتين. أما العصور اللاحقة فلدينا عنها معلومات متناثرة فى سفرى عزرا ونحميا اللذين يصفان الأحداث البارزة الخاصة بالعودة من السبى ، وفى سفرى المكابيين الأول والثانى اللذين يتناولان اليقظة الأخيرة للاستقلال اليهودى . وهذه يقصد بها ثورة فى يهوذا بزعامة الكاهن متاتياس وأبنائه من بعده على الإمبراطورية السلوقية ، وذلك من سنة ١٦٦ ق . م إلى سقوط أورشليم فى يد الرومان سنة ٦٣ ق . م . وتسمى هذه الثورة بثورة المكابيين ، نسبة إلى يهوذا مكابيوس ، وهو ابن متاتياس ومضرم الثورة بعده . ويسمى المكابيون أيضاً فى المصادر اليهودية المتأخرة بالحشمونيين ، نسبة إلى حشمون جد متاتياس . وسفرا المكابيين الأول والثانى يتناولان بعض تاريخ المكابيين . وأولهما يتناول الفترة من سنة ١٧٥ إلى سنة ١٣٥ قبل الميلاد ، والثانى يتناول الفترة من سنة ١٧٥ إلى سنة ١٦١ ق . م .

وفى المكابيين الثانى (١ : ١ إلى ٢ : ١٨) رسالتان كتبهما يهود فلسطين إلى يهود مصر .

وفى نطاق تاريخ العهد القديم يحكى لنا سفرا راعوث وإستير قصصاً شخصية، تمدنا بصور طريفة للحياة اليومية فى العصور المختلفة .

وفى أسفار الأنبياء معلومات أخرى عن التاريخ العبرى وتفسير شخصى له . فأسفار الأنبياء المتقدمين تعرض علينا التاريخ المتأخر لمملكتى يهوذا وإسرئيل ، وتتنبأ بسقوطهما على أنه نتيجة لآثامهما ، لا مفر منها . وقد رأينا فى يهوذا شخصيتين من الأنبياء هما : إشعيا وإرميا . وكان إشعيا يعارض دائماً سياسة الاعتماد على العون الأجنبى ؛ بينما كان إرميا يدعو إلى الاستسلام لبابل التى اختارها الله أداة لعقاب شعبه الضال . وفى خلال السبى كان حزقيال يعلم صحبه ويعزيهم

معلناً أن الشعب سيولد من جديد . وهو يعبر عن هذا فى جملة آيات تدور حول رؤيا ، وهى تنطوى على مقدرة أدبية كبيرة (حزقيال ٣٧ : ١ — ١٤) .

ورؤى دانيال المتشابكة المعقدة، هى نقطة الانتقال إلى أسفار الأنبياء المتأخرين، وهى سلسلة الأسفار الموجزة التى تتخذ من الأحداث المختلفة ذريعة لنصح الشعب الضال، والتنبوء بالعقاب ، والتبشير بعودة الأمور إلى الصلاح فى المستقبل .

وبقية العهد القديم أغان وأدب حكمة . وهذه الكتابات شعرية الطابع عادة، وقالبها الشعرى هو القالب الشرقى المألوف ، الذى يقوم على التوازى بين الأجزاء المتتابعة .

وسفر المزامير أعظم الأسفار الشعرية فى العهد القديم ، بل هو من أعظم مانظمه الإنسان من شعر . وهو يشتمل على ١٥٠ أغنية تختلف تاريخا ، بعضها شخصى الطابع وبعضها جماعى ، فيها تسبيح بالله ودعاء له أن يعين المرء فى الملمات المختلفة التى تنزل به وكثير من المزامير لها طابع الطقوس ، قصد بها الترتيل فى الصلوات

وهناك سفر رائع آخر من الشعر العبرى ، هو مراثى إرميا ، وهى مثال لنمط أدبى ليس بغريب على الشرق الأدنى القديم .

وثمة سفر شعرى يبدو دنيوى الطابع ، ولكنه فسر تفسيراً دينياً وضم إلى العهد القديم ، وهو نشيد الأنشاد الذى يدور حول حب راع شاب وراعية

وهناك سلسلة من الحكم والتأملات على نسق نظائر لها فى آداب الأمم المجاورة ، وذلك مثل ما نجده فى سفر الأمثال وسفر أيوب .

وينتهى أدب الحكمة بسفر الجامعة الذى يتحدث عن بطلان كل شىء، وعن عبث الدنيا التى تدور بلا نهاية ، ويظهر فى السفر التأثير اليونانى، وهو أقرب إلى طرق التفكير اليونانى منه إلى طرق التفكير العبرى .

الكتب التاريخية فى العهد القديم

الكتب التاريخية فى العهد القديم هى : يشوع ، والقضاة ، ورعوث ، وصموئيل الأول وصموئيل الثانى ، والملوك الأول ، والملوك الثانى ، وأخبار الأيام الأول وأخبار الأيام الثانى ، ونحميا ، وإستير .

وتسمى هذه الأسفار تاريخية لأن أكثر ما ورد فيها يتحدث عن تاريخ العبريين من أول فتحهم لأرض فلسطين إلى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد . وهذه الأسفار تسجل تاريخ الأفراد والشعوب ، وهى تعنى قبل كل شىء بموقف الله تجاهها . وعلاقة الله بالأفراد والشعوب من حيث قربهم منه أو بعدهم عنه . وكان أختيار الحوادث المختلفة فى هذه الأسفار لتقرير تلك الحقيقة . وسجلت حوادث الملوك ومصيرهم تبعاً لموقفهم الروحى والأخلاقى .

وتحكى الأسفار أعمال الله ، وكيفية رفعه للمتضعين وعقابه للظالمين . وهى تكشف عن قداسته ، وصبره ، وغفرانه للتائب ، وسعيه وراء الضال . وتذكر كيف أدى الأنبياء رسالتهم ، والظروف القاسية التى مروا بها فى حياتهم .

وتصل أسفار يشوع والقضاة وراعوث وسفرا صموئيل بالحوادث من الفتح إلى أول عهد الملكية. ويحكى لنا سفرا الملوك الأول وأخبار الأيام الأول التاريخ إلى عصر السبى ، أما سفرا عزرا ونحميا فيتحدثان عن العودة من السبى . وتقع حوادث سفر أستير فى فترة الحكم الفارسى .

ونلاحظ أن هذه الأسفار ليست الأسفار الوحيدة فى العهد القديم التى تتضمن الأخبار التاريخية ، ففى أسفار موسى الخمسة جزء كبير يشتمل على أحداث تاريخية، كما نجد مادة تاريخية فى أسفار الأنبياء .

لا تشمل هذه الأسفار تاريخاً كاملا للحوادث والأفراد التى تتناولها . وتشير الأسفار أحياناً إلى كتب أخرى تتضمن معلومات أوفى . فكثيراً ما نجد

عبارات مثل « وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته ، أما هى مكتوبة فى سفر أمور سليمان » ملوك أول ١١ : ٤١ ، «وأما بقية أمور يربعام : كيف حارب ، وكيف ملك فإنها مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل» ملوك أول١٤ :١٩، « وبقية أمور رحبعام وكل ما فعل ، أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا » ملوك أول ١٤ :٢٩ ، « وبقية أمور زمرى وفتنته التى فتنها ، أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل » ملوك أول ١٦ :٢٠ ، « وبقية أمور شلوم وفتنته التى فتنها ، هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل »ملوك ثانى ١٥ :١٥ ، «وأمور داود الملك الأولى والأخيرة،هى مكتوبة فى سفر أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى ، مع كل ملكه وجبروته ،والأوقات التى عبرت عليه وعلى إسرائيل وعلى كل الممالك» أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٩ ، «وبقية أمور سليمان الأولى والأخيرة ، أما هى مكتوبة فى أخبار ناثان النبى،وفى نبوة أخيا الشيلونى ، وفى رؤى يعدو الرائى على يربعام بن نباط » أخبار الأيام الثانى ٩ :٢٩ ، « وأمور آسا الأولى والأخيرة ، ها هى مكتوبة فى سفر الملوك ليهوذا وإسرائيل » أخبار الأيام الثانى ١٦ :١١ .

كتبت هذه الأسفار لغرض دينى ، ولهذا فإن التاريخ الذى تتضمنه . أختير ليوضح الغرض الذى ترمى إليه ، فأفاض فى أخبار بعض الأنبياء مثل إيليا وإليشع، واختصر فى أخبار كثير من الملوك على الرغم من شهرتهم لدى معاصريهم .

فهذه الأسفار التاريخية لم تكتب فى الأصل لتكون سجلا تاريخياً ، وإنما تتبين المادة التاريخية من ثنايا الهدف الدينى الذى وضعت من أجله .

سفر يشوع

ينسب هذا السفر إلى يشوع بن نون ،الذى خلف موسى قائداً للعبريين، وكان اسمه أولا هوشع . جاء فى عدد ١٣ : ١٦ « ودعا موسى هوشع بن نون ، يشوع » .

والسفر يقص تاريخ بنى إسرائيل من موت موسى إلى ما بعد موت يشوع .

مضمون السفر

يشمل السفر على موضوعين وخاتمه :

ففى الإصحاحات من ١ إلى ١٢ يتحدث عن غزو أرض كنعان : الإستعداد للغزو وعبور الأردن (الاصحاحات ١ — ٥) ، وسقوط أريحا وعاى وخطية عخان (٦ — ٨) ، وأعمال الغزو والمهادنة مع جبعون (٩ — ١٢).

وفى الاصحاحات من ١٣ إلى ٢٢ يتحدث السفر عن توزيع الاسباط والعشائر فى الأرض .

والخاتمة الاصحاحان ٢٣ و ٢٤ وفيهما تضرعات يشوع ، والاجتماع مع الأسباط فى شكيم ، ثم موت يشوع.

ويهدف السفر إلى إثبات أن الله أوفى بوعوده ، وأنه طرد الشعوب أمام شعب إسرائيل وحارب عنهم ، وهذا واضح من الاصحاح الأول الآيات ١ ـ ٩ «وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا: موسى عبدى قد مات ، فالأن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين ، وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس تخمكم ، لا يقف

إنسان فى وجهك كل أيام حياتك ، كما كنتُ مع موسى أكون معك . لا أهملك ولا أتركك . تشدد وتشجع ، لأنه أنت تقسم لهذا الشعب الأرض التى حلفت لآبائهم أن أعطيهم ، إنما كن متشدداً وتشجع جداً ، لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه ،لأنك حينئذ تُصلح طريقك وحينئذ تُفلح . أما أمرتك : تشدد وتشجع ، لا ترهب ولا ترتعب،لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب» .

وجاء فى الإصحاح ٢١ الآيات ٤٣ — ٤٥ «فاعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التى أقسم أن يعطيها لآبائهم ، فامتلكوها وسكنوا فيها. فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم ، ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم . بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم،لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذى كلم به الرب بيت إسرائيل . بل الكل صار » وبهذا نرى أن الوعد قد تحقق . ووعد الله لا يتحقق إلا مرة واحدة .

وسفر يشوع عبارة عن تعليمات للإجراءات السياسية والأحداث الحربية .

أما الفترة التى تتضمن الحوادث فى هذا السفر ، فهى على الأغلب ٣٢ سنة، منها سبع سنوات استغرق فيها فتح البلاد و٢٥ سنة المدة التى تولى فيها يشوع القيادة بعد موت موسى . ولكن المؤرخ اليهودى يوسيفوس فلافيوس يذهب إلى أن المدة كلها هى ٢٥ سنة فقط .

والسفر يبين أهمية طاعة الشعب للشريعة الإلهية بما تتطلبه من مبادىء أخلاقية . وهو ملىء بالتعاليم الروحية والأسس التى يجب أن تتوفر للظفر ببركة الله .

وهناك بعض المسائل التى تحير القارىء منها : وقوف الشمس فوق جبعون، ومنها أمر الله بإهلاك الكنعانيين ، والله الرؤوف الرحيم ، الآب المحب ، لا يرتضى أن يهلك شعوباً بأكملها . جاء فى يشوع ٦: ٢١ « وحرّموا كل ما فى المدينة (أريحا) من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » وفى ٨ : ١ — ٢ « انظر ، قد دفعت بيدك ملك عاى وشعبه ومدينته

وأرضه . فتفعل بعاى وملكها كما فعلت بأريحا وملكها . غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم » .

كاتب السفر :

لا يذكر السفر شيئاً عن كاتبه ، أما ما جاء فى ٢٤ : ٢٦ « وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر شريعة الله» فربما يعنى أنها إضافات ألحقت بالتوراة .

ويذهب علماء اليهود وبعض الكتاب المسيحيين بأن كاتب السفر هو يشوع ماعدا الآيات الخمس الأخيرة منه وبعض آيات مثل ١٩ : ٤٧ .

ولكن الملاحظ أن عدداً من الآيات والعبارات فى سفر يشوع تشير إلى أحداث تمت بعدموت يشوع مثال ذلك ١٥ : ١٣—١٩ و ١٩ : ٤٧ وما يقابلها فى قضاة ١ : ١١ — ١٥ و ١٨ : ٢٧ وكذلك نجد بعض الآيات قد أضيفت إلى النص منها ١٤ : ١٥ ، ٢٤ : ٢٩ .

ويدل ذلك على أن السفر فى حالته الراهنة لم يكتبه يشوع ، بل كان يشوع هو بطل السفر .

ويذهب « كلفن » أن مؤلف السفر أو كاتبه الذى جمعه من مصادر مختلفة ، ضمها فى كتاب واحد ، هو إليعازر بن هرون . جاء فى يشوع ٢٤ : ٣٣ « ومات إليعازر بن هرون فدفنوه فى ... »

واعتمد كاتب السفر على سفر ياشر وربما اعتمد أيضاً على كتب أخرى لم يذكرها ،وذلك كما يفعل كتاب التاريخ عادة ، يقول فى ١٠ : ١٣ « أليس هذا مكتوباً فى سفر ياشر » .

تاريخ تدوين السفر :

يذكر السفر مدينة صيدا على أنها عاصمة الفينيقيين ١١ : ٨ ويدل ذلك على أن عصر كتابة السفر كان قبل داود .

ويذكر كاتب السفر أن اليبوسيين يسكنون فى أورشليم ١٥ : ٦٣ ونحن نعرف من سفر صموئيل الثانى ٥ : ٦ أن داود طردهم فيما بعد من أورشليم .

ونستدل من ١٦ : ١٠ أن الكنعانيين كانوا يسكنون فى جازر فى وقت كتابة السفر ، ونعلم من سفر الملوك الأول ٩ : ١٦ أن سليمان أجلاهم عن جازر.

وواضح من هذا أن السفر كتب قبل داود ، وأن الكاتب أعتمد على نصوص من عصر يشوع . يدلنا على ذلك أن حوادث فتح أرض كنعان ذكرت بكثير من التفصيل ، لا يتأتى إلا لشاهد عيان (فى الإصحاحين السابع والثامن ١٥ : ٩ و٤٩ و ٥٤) .

كما أن أسماء المدن الكنعانية القديمة كانت معروفة عند الكاتب (١٨ : ٢٦ ، ٢٠ : ٧) .

وذكر السفر أن راحاب تسكن فى وسط إسرائيل ٦ : ٢٥ وكذلك كانت الأحجار التى حملوها من الأردن لتكون تذكارا لعبور الأردن قائمة فى عصر كاتب السفر ٤ : ٩ .

وكذلك استعمل الكاتب صيغة جمع المتكلم مثل تعبره فى ٥ : ١ « حتى عبرنا » و ٥ : ٦ « أن يعطينا » مما يدل على قدم العصر الذى كتب فيه المصدر الذى أخذ عنه السفر .

سفر القضاة

أسم هذا السفر مترجم من اللفظة العبرية « شوفطيم » وقد استخدمت لقباً للذين قاموا بعد موت يشوع لينقذوا شعب إسرائيل من أعدائهم المحيطين بهم. ومعنى هذه اللفظة بالعبرية لاتنصب على السلطة القضائية كما نفهم من مدلول هذا اللفظ فى العربية وإنما تؤدى هذه اللفظة عندهم معنى الحكم والسلطة الإدارية والمنقذ، وهذا النوع من الحكم هو حكم عسكرى مطلق . وقد سموا أيضاً مخلّصين لأن إقامة أحدهم كان لتخليص الشعب من أيدى الأعداء ، وكان ذلك فى أحوال غير اعتيادية ، وتنقضى سلطتهم عادة بأنتهاء الحالة التى دعت إلى قيامهم .

يقول فى قضاة ٣:١٠٩ فأقام الرب مخلصا لبنى إسرائيل فخلصهم. عُشيئيل بن قناز أخا كالب الأصغر ، فكان عليه روح الرب وقضى لاسرائيل، وخرج للحرب » وفى قضاة ٣ : ١٥ « وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب فأقام لهم الرب مخلصا إهود بن جيرا البنياميني » .

ولم يكن اختيارهم بالوراثة أو بالانتخاب ، ولكن لقدرتهم العسكرية . وكانت سلطتهم تمتد إلى عدد من القبائل ، ولهذا نجد أن بعض القضاة كانوا متعاصرين . وكانت تمضى فترات لا يقوم فيها قضاة .

ولم يذكر سفر القضاة الاست قضاة كبار وست صغار .

مضمون السفر .

يمكن تقسيم موضوعات السفر على النحو الآتى :

القسم الأول :

مقدمة مزدوجة ، يذكر فيها الحالة السياسية والدينية لإسرائيل قبل عصر القضاة مباشرة (١ : ١ — ٢ : ٩) . ثم موضوع الكتاب حيث يبين الأسباب العميقة التى تسببت فى مصير اسرائيل (٢ : ١٠ — ٣ : ٧) .

القسم الثانى :

نص السفر من ٣ : ٨ — ١٦ : ٣١ وهو يصور ما ذكره فى الجزء الثانى من المقدمة (٢ : ١٠ — ٣ : ٧) وقد حكى فيه قصص ستة أبطال هم القضاه الكبار . وفيها إشارات إلى ستة قضاه صغار وهم شمجر بن عناة (٣ : ٣١) ، وتولع بن فواة بن دودو (١٠ : ١) ، يائير الجلعادى (١٠ : ٣) ، إبصان من بيت لحم وإيلون الزبولونى وعَبـــدون بن هَليل الفرعتونى (١٢ : ٨ — ١٥) .

والقضاة الكبار هم .

١ — عُثنيئيل بن قناز هزم ملك سوريا (٣ : ٧ — ١١) .

٢ — إهود بن جيرا هزم المؤابين (٣ : ١٢ — ٣٠) .

٣ — باراق بن أبينوعم وقد شجعته دبوره القاضية النبية فأنتصر على سيسرا الكنعانى بالقرب من نهر (قيشون ، وفيه خبر قتل ياعيل امرأة حابر القينى سيسرا الهارب ، وفيه قصيدة دبوره (الاصحاحان الرابع والخامس) .

٤ — جدعون بن يوآش الأبيعزرى هزم المديانيين والعمالقة (الاصحاحات السادس والسابع والثامن) . وفى الاصحاح التاسع خبر ما ارتكبه أبيمالك من ظلم فى شكيم . وفى الاصحاح العاشر ١ — ٥ ذكر تولع بن فواه بن دودو ، ويائير الجلعادى .

٥ — يفتاح الجلعادى الذى حارب بنى عمون (١١ : ١ —١٢ : ٧) وأنتصر عليهم . وفيه تنفيذ النذر الذى نذره يفتـــاح وهو حرق ابنته (١١ : ٣٤ — ٤٠) .

٦ — شمشون بن منوح من الدانيين الذى هزم الفلسطيليين فى أثنى عشرة حملة (الإصحاحات من ١٣ إلى ١٦).

القسم الثالث :

الخاتمة : من الإصحاح ١٧ إلى الإصحاح ٢١ ويتضمن نبأ حادثتين غريبتين :

الإولى،حادثة ميخا والدانيين (الإصحاحان ١٧ و ١٨) ، والثانية الفضيحة التى التى اقترفت فى جبعة ، والحرب التى نجمت عنها ، وكادت تؤدى إلى انقراض سبط بنيامين (الإصحاحات من ١٩ — ٢١) . وهذا القسم هو ملحق يدون حوادث سابقة للحوادث التى وردت فى السفر ، ويوضح حالة الانحطاط الأخلاقى التى وصلت إليه إسرائيل .

كاتب السفر :

لا يعرف على وجه التأكيد من هو مؤلف هذا السفر ، لكنه لا شك أن كاتبه جمع مادته من نصوص كانت موجودة وقت كتابته ، ومن قصص كان متداولا وشائعاً بين الشعب . وينسب التقليد اليهودى والمسيحى كتابة هذا السفر إلى صموئيل ، والمرجح أن صموئيل كان قد شرع فى كتابته ثم أكمله بعده غيره من المؤرخين .

ويذهب بعض العلماء أن مادة هذا السفر كانت متفرقة ، وخصائص اللغة فى السفر تدل على أن مادته كتبها عدة مؤلفين ، وقد نسقها وضمها فى كتاب واحد عزرا أو نحميا .

تاريخ تدوين السفر :

سفر القضاة فى حالته التى وصلت إلينا ، ألف فى أول عصر الملوك (قارن قضاة ١ : ٢١ ، و ١٧ : ٦ و ١٨ : ٣١ و ٢١ : ٢٥) وذلك بالإعتماد على التاريخ والتقليد الشفوى .

وفى الأصل كانت الإصحاحات السبع الأول من سفر صموئيل الأول فى سفر القضاة ، ثم رؤى فى عصر متأخر أن تضم هذه الإصحاحات إلى سفر صموئيل للصلة الوثيقة بين سفر صموئيل ونشأة الملكية .

ويرجح الباحثون أن آخر كاتب جمع هذا السفر كان بين سنتى ٦٠٠ و ٤٠٠ قبل الميلاد .

قيمة السفر التاريخية :

تشير بعض الأسفار المتأخرة فى العهد القديم إلى سفر القضاة (قارن صموئيل الثانى ١١ : ٢١ يشير إلى قضاة ٩ : ٥٣ ، ومزامير ١٠٦ : ٣٤ — ٣٦ يشير إلى قضاة ٢ : ١١ — ١٣ ، وإشعيا ٩ : ٣ يشير إلى قضاة ٧ : ٢٢ ، وهوشع ٩ : ٩ يشير إلى قضاة إصحاح ١٩ وغير ذلك) وهو يدل على أن سفر القضاة كان يعتبر من الأسفار المقدسة .

ونلاحظ أن الكاتب يذكر فتح بعض المدن مرتين، وذلك لأن المدينة تكون قد استردت حريتها بعد الفتح الأول .

وكاتب السفر يأتى بالحوادث المخالفة للاخلاق بطريقة موضوعية مثلا (قضاة ٣ : ١٦ — ٢٣)

ونجد فى السفر فترات متفاوتة تبين بوضوح ما ظهر بعد العصر الموسوى من ميل الشعب إلى السلوك مسالك الضلالة والإثم والانحطاط الخلقى ، وعبادة آلهة أجنبية ، فهى فترات تاريخية شحنت بالفساد والفوضى واختلال النظام والتحزبات القبلية . وهم فى كل فترة يستدعون زعيما أى قاضياً ، يحاول استعادة الشريعة ، وقهر الأعداء ، والرجوع إلى حياة صالحة . وقصة هذا السفر إنما هى دورات متلاحقة من السقوط والنهوض والإثم ثم التوبة .

سفر راعوث

يحمل السفر هذا الأسم من اسم امرأة موأبية تسمى راعوث (من العبرية رع ه أى رعى)

وتتلخص القصه فى أنه حدثت مجاعة فى بيت لحم ، فرحل رجل اسمه أليمالك ومعه زوجته نعمى وابناها محلون وكليون ، إلى أرض موآب .

وتزوج الولدان من موآبيات ومات الولدان ومات الزوج،وتقرر نعمى العودة إلى أهلها فى بيت لحم . وحملت المرأة قرارها إلى عرفة وراعوث كنتيها ، فقبلتها عرفة وبقيت فى بلدها ، أما راعوث فقد رافقتها إلى بيت لحم .

كان وصول نعمى وراعوث إلى بيت لحم فى موسم حصاد الشعير ، وتذكرت نعمى أحد أقاربها الأثرياء وهو بوعز ، وزوجتها له ، فولدت له إبنا اسمه عوبيد ، الذى صار أبا ليسى أبى داود النبى،ومن نسل داود ، وفى بلد داود بيت لحم ، ولد المسيح .

وفى هذا السفر أربعة أصحاحات ، وهى تتضمن هذه القصة فى أسلوب بسيط مؤثر .

ويروى سفر راعوث قصة بسيطة قد تحدث فى أية أسرة ، ويظهر عاطفة زوجة الأبن نحو حماتها ومحبتها لها ، منكرة لذاتها ومخلصة فى خدمتها ، ومشاركة لها فى ضيقها . وتبين القصة أن الله أختارها بسبب تقواها فأصبحت زوجة لرجل ثرى ، وأرتفعت من الفقر والترمل والخمول، إلى زوجة مكرمة ، ووالدة سعدت بأولادها .

هدف السفر :

يهدف السفر إلى عرض أنساب بيت داود ؛ دون أن يكون له اتجاه سياسى، وذلك تثبيتاً لحق أسرة داود فى أرض افرايم بعد عام ٧٢٢ ق . م

تاريخ السفر :

يدل أسلوب الكتابة على أن السفر كتب فى عصر متأخر . ويحدثنا كاتب السفر فى مقدمته أن الحوادث التى يقصها حدثت فى عصر القضاة ، كما يذكر فى خاتمته اسم داود وسلسلة نسبه (٤ : ٢٢) ويدل هذا على أن عصر القضاة كان قد انتهى حين دون هذا السفر (١ : ١ و ٤ : ٧)

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن هذا السفر كتب فى زمن أشتدت فيه رغبة اليهود فى التخلى عن زوجاتهم الأجنبيات .

وكاتب السفر غير معروف ، ولكن التلمود ينسب كتابته إلى صموئيل .

واغلب الظن أنه كتب فى زمن عزرا ونحميا اى فى النصف الثانى من القرن الخامس قبل الميلاد .

ولما كان موضوع السفر يتصل بعصر القضاة ، فقد عدوه أحياناً من سفر القضاة . وأعتبر فى الترجمة السبعينية ضمن الكتب التاريخية . ولم يكن سفر راعوث معترفا به بين الإسفار القانونية حتى القرن الثالث قبل الميلاد . وعده اليهود من كتب القراءات الطقسية التى تسمى « مجلوت » وهى نشيد الإنشاد وراعوث والمراثى والجامعة وإستير ، وكانت تقرأ فى الأعياد الخمسة الكبرى عندهم ، وكان سفر راعوث يقرأ فى عيد الخمسين .

سفرا صموئيل الأول والثانى

كان سفرا صموئيل فى الأصل العبرى يضمهما سفر واحد. وقد تم تقسيم السفر إلى سفرين فى الترجمة السبعينية. وكان سبب هذا التقسيم أنهم اعتبروا الجزء الأول منه منتهياً بموت شاول، وبدوا الثانى من جلوس داود على عرش المملكة.

وسمى هذا السفر أصلا بإسم صموئيل، لأنه يستهل بتاريخ ولادة صموئيل وأعماله، وذلك على الطريقة المتبعة عند العبريين وهى تسمية السفر من أول كلمة أو عبارة أو موضوع فى مستهله، إلا أن الترجمة السبعينية سمتهما سفرى الملوك الأول والثانى، وذلك من مضمون الكتابين وهذه الطريقة هى التى كانت سائدة فى مصر، أى أن يعطى للكتاب عنوان يؤدى مضمونه، فالمصريون أول من أعطى للكتاب عنوان. وقد عمم القديس هيرونيموس تسميتهما بإسم الملوك الأول والثانى.

موضوع السفرين:

يشتمل السفران على عصر من تاريخ إسرائيل، يبدأ من حيث أنتهى سفر القضاة، وهو مولد صموئيل وينتهى بآخر ملك داود أى من سنة ١٠٧٥ إلى سنة ٩٥٧ قبل الميلاد.

ويتضمن السفران تاريخ تحول الحكم إلى حكم ملكى وتنصيب الملكين الأولين على مملكة إسرائيل وهما: شاول وداود بتعيين من الله. كما بينا كيف أبى شاول أن يطيع أوامر الله، فيعزله الله ويقيم مكانه داود بن يسى، وكيف أن الله امتحنه حتى أظهر طاعته وبهذا تقرر الحكم لداود ونسله. وفى هذين السفرين يبدو بوضوح الصلة بين تطور إسرائيل وبين طاعتها لله.

ولا يشتمل السفران على تاريخ كامل لابتداء عصر الملكية فى إسرائيل، ولكنهما يظهران وحدة فى المنهج التاريخى لهذا التطور. ويمكن تتبع الحوادث التى يشمل عليها السفران فى مدى قرن من الزمان تقريباً.

ويتعلق السفر الأول بالقاضيين الأخيرين من قضاة بنى إسرائيل وهما: عالى وصموئيل، وبالملكين الأولين من ملوكهم وهما: شاول وداود.

ويمكن أن نقسمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول : خبر عالى الذى كان قاضياً ، ونبأ ابنيه الفاسدين ، ومولد صموئيل وتربيته ودعوته (الاصحاحات ١ إلى٤) .

الثانى : تاريخ صموئيل ودعوة الله إياه ليكون نبياً وقاضياً (الاصحاحات من ٥ إلى ١٢) .

الثالث: تاريخ شاول الذى عينه اللهأن يكون أول ملوك (إسرائيل الاصحاحات من ١٣ إلى ٣١) .

ويتضمن سفر صموئيل الثانى تاريخ ملك داود الذى أقيم ملكا على يهوذا بعد موت شاول ، وعلى كل الأسباط بعد قتل ايشبوشت إبن شاول .

ويمكن تقسيم هذا السفر إلى ثلاثة أجزاء .

الأول : يتضمن ذكر انتصار داود وتفوقه على بيت شاول (الإصحاحات من١ إلى ١٠) .

الثانى : فيه نبأ الاضطرابات التى حدثت لداود على خطيئته أمام الله ، ثورة أبشالوم وهرب داود ، موت أبشالوم وعودة داود (الإصحاحات من ١١ إلى ١٩).

الثالث : يتضمن تثبيت داود على كرسى الملك بعد توبته الصادقة ، وأناشيد النصر ، وإحصاء الشعب والطاعون ، وأخبار السنين الأخيرة من ملك داود .

(الإصحاحات من ٢٠ إلى ٢٤) .

ونشهد تحت زعامة صموئيل نشأة النظام النبوى ، وارتقائه ، وتزعم صموئيل جماعة الأنبياء ، والتمهيد للحكم الملكى .

القيمة التاريخية :

لا شك أن سفرى صموئيل هما ملخص لكتاب فى التاريخ مطول يعتمد على نصوص مختلفة الأصل لم يذكر مؤلفها .

ويعبر الكاتب عن عصر داود وسليمان على أنه عصر مضى ، يقول فى صموئيل

الأول ٢٧ : ٦ « فأعطاه أخيش فى ذلك اليوم صقلغ ، لذلك صارت صقلغ لملوك يهوذا إلى هذا اليوم » أى أنه عند كتابة السفر كانت هناك فترة طويلة قد مرت عند تقسيم المملكة .

ويظهر أن تأليف السفر ، يقع تقريباً بين سنتى ٨٥٠ و ٧٥٠ قبل الميلاد، واستخدم المؤلف النصوص الآتية :

١ — تاريخ صموئيل وشاول للاصحاحات ١ — ١٤ فى صموئيل الأول) .

٢ — تاريخ داود للاصحاحات من صموئيل الأول ١٥ إلى صموئيل الثانى ٥ والتى بدأ صموئيل فى كتابتها ، ثم أتمها النبيان ناثان وجاد (أخبار الأيام الأول ٢٧ : ٢٤ ، ٢٩ : ٢٩) يقول « وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هى مكتوبة فى سفر أخبار صموئيل الرائى وأخبار ناثان النبى وأخبار جاد الرائى » .

٣ — سفر ياشر الذى جاء ذكره فى صموئيل الثانى ١ : ١٨ والذى استخدمه يشوع ١٠ : ١٣ .

مؤلف السفر :

أما كاتب هذين السفرين فهو غير معروف على وجه التحقيق ، والتقليد اليهودى فى التلمود ينسب تأليفهما إلى صموئيل ، ويذهب بعض العلماء أن صموئيل كتب الأربعة والعشرين اصحاحاً الأولى وأن ناثان وجاد النبيين أكملاها معتمدين فى ذلك على ماجاء فى أخبار الأيام الثانى ٢٩:٢٩ ، ٣٠ . ومن المرجح أن المراجع النهائى للسفرين كان من أحد تلاميذ هؤلاء الأنبياء .

ويؤكد العلماء أن مدونى الحوادث كانوا يعيشون وقت وقوعها ، لما فيها من تصوير حى للشخصيات والعرض النفسى المستمد من الواقع للشخصيات المختلفة .

سفرا الملوك الأول والثانى

قسمت الترجمة السبعينية سفر الملوك إلى سفرين، وسميا بالثالث والرابع، لأن سفرى صموئيل أطلق عليهما فى الترجمة السبعينية الملوك الأول والثانى .

ويتضح من مستهل السفر أن المؤلف أراد أن يتتبع التاريخ الذى انتهى عنده صموئيل ، ومقارنة صموئيل وملوك تبين أن الملوك سفر مستقل بذاته .

ويعالج سفر الملوك تاريخ المدة التى بين سنى ملك داود الأخيرة (نحو سنة ٨٩٠ ق . م) وسقوط أورشليم فى سنة ٥٨٦ ق . م، وينتهيان بإطلاق يهوياكين من السجن ، عن يد أويل مردوخ ملك بابل فى سنة ٥٦١ ق . م .

فتكون الفترة التى يتناولها هذان السفران أكثر من أربعة قرون ، ولا بد أن كتابتهما لم تتم إلا بعد هذا التاريخ ، وأن تأليفهما أو جمع حوادثهما ، كان بعد حدوث ماهو مدون فيهما بوقت طويل. وكان الاعتماد فى كل مايشتملان عليه من أخبار قد أخذ من كتب سابقة .

وبالرغم من أن هذين السفرين يسميان سفرى الملوك، فالأشخاص الظاهرون فيهما هم من الأنبياء .

وقد كان لمهمة الأنبياء فى هذا العصر وضع خاص، فهم رجال سياسة وهم معلمون للدين والآداب . ويمكن فهم ما جاء فى السفرين إذا تذكرنا أنهما كتبا من أولهما إلى آخرهما من وجهة نظر الأنبياء ، التى كان أساس مهمتهم حفظ ديانة يهوه ضد الاتجاه القوى إلى عبادة الأوثان ، كما كانت مهمتهم الدفاع عن الشريعة وتفسيرها ، والتدليل على مصير الظلم والطمع والخلاعة وسوء المعاملة ؛ وقد نادى الأنبياء بكل هذا فى شجاعة لا تعرف الخوف ، مجاهدين فى سبيل الله لمقاومة رذائل الملوك والشعب .

مضمون النص :

يمكن تقسيم السفر بجزئيه إلى ثلاثة أقسام :

أولا : ملوك أول من الاصحاحات ١ إلى ١١ ، وتتضمن أخبار خلافة سليمان لأبيه داود من سنة ٩٧٥ ق . م إلى سنة ٩٢٩ قبل الميلاد . ويبين الاصحاحان الأولان الأيام الأخيرة لداود وهما بمثابة مقدمة تشرح كيفية جلوس سليمان على العرش ، وتعتبر أيضا تتمة لسفر صموئيل الثانى . فى الاصحاحات من الثالث إلى العاشر تتحدث عن حكمة سليمان وكيفية استخدامها ، وزواجه بالأميرة المصرية ، ووصف مملكته ونظامها وشرح علاقته مع حيرام ملك صيدا ، وبيان للمبانى التى شيدها وبخاصة الهيكل ، وتفصيل لنظام ملكه ، وزيارة ملكة سبأ ، وثروة سليمان ومجده ، وأسباب سقوط المملكة وهى تعدد الزوجات وعبادة الأوثان فيحل عليه العقاب ، ويتآمر عليه الأعداء فى الداخل وفى الخارج ، وتتمرد أدوم وسوريا من حكمه ، ويحاول يربعام الثائر أن يحدث انقلابا يعزل فيه سليمان ليجلس على عرشه ، ولكنه يفشل ويلجأ إلى مصر ، ثم موت سليمان .

ثانياً : التاريخ المتزامن لمملكتى إسرائيل ويهوذا من الاصحاحات ملوك أول الاصحاح ١٢ إلى ملوك ثانى الاصحاح ١٧ ، أى من سنة ٩٢٩ ق . م . إلى سنة ٧٢٢ قبل الميلاد تقريباً .

وتتحدث هذه الاصحاحات عن أسباب انقسام المملكة إلى مملكتين ، ينفرد يربعام (٩٢٩ — ٩٠٩ قبل الميلاد) بمملكة الشمال ، ورحبعام (٨٥٠ـ٨٤٣ ق.م) بمملكة يهوذا فى الجنوب . ثم يحكى خطية يربعام الذى صنع عجلين من الذهب لعبادتهما فى دان وبيت إيل . وبعد عداء طويل بين المملكتين ، تقاربتا بزواج يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا (٨٥٠ — ٨٤٣ قبل الميلاد) من عثليا بنت خاب ملك إسرائيل (٨٧٣ — ٨٥٤ ق . م) ونشاط النبيين :

إليا واليشع ، ودب الخلاف من جـــديد بين المملكتين فى أيام ياهو (٨٤٢ ق . م) وقطع علاقة مملكة إسرائيل بمملكة يهوذا ، وفى سنة ٧٣٨ أخذت مملكة إسرائيل فى دفع الجزية لتغلات فلاسر الرابع ملك أشور . وحاصر شلمناصر الرابع ملك أشوز السامرة ، وفى عام ٧٢٢ ق . م قضى خليفة سرجون ملك أشور على مملكة إسرائيل ، وفى سنة ٧٢٢ ضمت السامرة إلى أشور ، وسبى الشعب إلى أشور ، وحمل الأشوريون شعباً جديداً ليحل محل اليهود المسبيين .

ثالثاً : تاريخ مملكة يهوذا إلى عصر السبى البابلى (الأصحاحات ملوك ثانى من ١٨ إلى ٢٥) .

وتحدثت الأصحاحات عن حكم أسرة داود ، ودخول عبادة الأوثان فى يهوذا ، ونشاط النبيين اشعيا وارميا . وفى السنة الثامنة عشرة من حكم يوشيا وجد سفر الشريعة فى بيت الرب ، وقيامه بإصلاح وتغيير فى الطقوس (٦٢٢ — ٦٢١ ق م) ، سقوط يوشيا فى معركة مجدو التى انتصر فيها نخا وفرعون مصر سنة ٦٠٩ قبل الميلاد ، سبى يهوياكين وأسرته إلى بابل على يد نبوخذناصر سنة ٥٩٧ ق . م ، قيام صدقيا ملك يهوذا ضد نبوخذناصر ، تدمير أورشليم ونهاية مملكة الجنوب فى صيف سنة ٥٨٧ ق . م ، تعيين جدليا حاكماً على من بقى من اليهود فى أرض يهوذا ، قتل جدليا ، هجرة من بقى من اليهود إلى مصر ، أطلق ملك بابل الجديد سراح يهوياكين من السجن وعامله بالحسنى بعد سجنه ٣٧ عاما (سنة ٥٦١) .

ففى سفر الملوك . بجزئيه تتمثل وقائع التاريخ ، فى صورة نزاع بين الإيمان والجحود ، بين عبادة يهوه المصدر الأعلى الأزلى للحياة وبعل الذى تتمثل فيه قوى الطبيعة . فمملكة اسرائيل تنحرف عن الله وتعبد الأوثان ولهذا يمحى ذكرها من سفر الحياة ، بينما نرى أن مملكة يهوذا التى أتيح لها بعض ملوك أمناء ، دافعوا عن عقيدتهم وإيمانهم ، ثابت عن خيانتها فى أثناء نفيها فى بابل ، فعادت وتجددت حياتها .

ولذلك حرص كاتب السفرين أن يظهر نشاط الأنبياء ويصف بالتفصيل هذا

النشاط ليدلل على أن عبادة الأوثان وغيرها هى أسباب زوال اسرائيل (ملوك ثانى الأصحاح ١٧) ، وأثبت أن وجود أسرة داود ، دليل على شرعيتها .

وظاهر أن كاتب السفرين استعان بمصادر مختلفة فى كتابته، تتبين ذلك من بعض نصوص متكررة مثل ما نجده بين ملوك أول ٩ : ٢٦ — ٢٨ وبين ملوك أول ١٠ : ١١ وملوك ثانى ٩ : ٢٦ وبين ملوك أول ٢١ : ١٣ .

وكذلك نجد اختلافاً فى أسلوب الكتابة ، وفى الحكم على الشخص الواحد فى مواضع مختلفة من السفرين. ونلاحظ أنه استعان بالمصادر الآتية .

١ — تاريخ سليمان (ملوك أول ١١ : ٤١) ويسميه سفر أمور سليمان .

٢ — تاريخ ملوك يهوذا (ملوك أول ١٤ : ٢٩) ويسميه سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا ، وقد أخذ عنه فى خمسة عشر موضع .

٣ — تاريخ ملوك إسرائل (ملوك أول ١٤ : ١٩) ، ويسميه سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل ، وقد أخذ عنه فى سبعة عشر موضع .

كانت هذه الحوليات الرسمية يدونها مسجلون (ملوك أول ٤ : ٣) ، وربما كانت الأخبار التى سجلها سفرا الملوك مستقاة من سجلات الملوك المحفوظة ، ثم أضيفت إليها أخبار الأنبياء مثل إليا واليشع وغيرهما .

ونحس فى السفرين تناسقاً فى سرد تاريخ المملكتين على طريقة التزامن فهو يسرد تاريخ ملوك يهوذا ثم يتحدث عن ملوك إسرائيل إلى آخر ملك ذكر إسمه من يهوذا ، ثم يعود إلى ذكر ملوك يهوذا وهكذا .

تناول الكاتب كل هذا منسقاً أسلوبه التاريخى وسارداً قصة المملكتين مسلسلة فى قصة واحدة . وكان هدف الكاتب أن يقدم بياناً ، عن الطرائق التى تغلب فيها الدين على التاريخ ، ولم يقصد أن يسرد التاريخ السياسى للشعب . ولهذا نلاحظ مثلا أنه أغفل بعض الحوادث الهامة مثل حرب آخاب مع شلمناصر ، لأنها لم تكن فى نظره ذات قيمة ، أى لم تكن لها علاقة مباشرة بمسلك الملك

والشعب تجاه الله . وأوجز تعليقه على حروب يربعام الثانى وخلاصه السياسى فى بضعة عبارات ، بينما أسهب فى سيرة ملوك آخرين مثل آخاب وحزقيا ، لأن أعمالهم ، سواء كانت صالحة أو سيئة ، كان لها وزنها من الناحية الدينية .

واتبع الكاتب أسلوبه التاريخى على المنهج الآتى :

يبدأ بذكر الملك بالصيغة الآتية (ملوك ثانى ١٧ : ١) « فى السنة .. لفلان ملك يهوذا ... ملك فلان فى السامرة على إسرائيل مدة ... » أو « فى السنة . . لفلان ملك إسرائيل .. ملك فلان ملك يهوذا وكان ابن .. سنة حين ملك ، وملك . . سنة فى أورشليم ، واسم أمه ... » (ملوك ثانى ١٨ : ١)

وكانت الصيغة النهائية بعد ذكر تاريخه على الوجه الآتى : « وبقية أمور .. التى عمل ، أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا (إسرائيل) ، ثم اضطجع ... مع آبائه ودفن مع آبائه فى مدينة داود (مع آبائه ملوك إسرائيل) ، وملك ... ابنه عوضاً عنه » (ملوك ثانى ١٦ : ٢٠ و ١٤ : ٢٩) .

وكان الكاتب يقيم حياة كل ملك وسيرته فيقول مثلاً :«وعمل الشر فى عينى الرب » (ملوك ثانى ١٧ : ٢ أو « وعمل ما هو مستقيم فى عين الرب » (ملوك ثانى ١٥ : ٣) :

القيمة التاريخية للسفرين :

كانت آخر الأحداث التى ذكرها سفر الملوك هى إطلاق سراح يهوياكين من السجن عام ٥٦١ ق . م (ملوك ثانى ٢٥ : ٢٧) ، ويأتى ذكر يهوياكين بمناسبة موت يهوياقيم (سنة ٥٩٨) فى الأصحاح ٢٤ من سفر الملوك الثانى٢٤:٥ وما يلى . فإذا كانت الفقرة (ملوك ثانى ٢٥ : ٢٧ — ٣٠) التى تتحدث عن إطلاق سراح يهوياكين قد أضيفت فيما بعد إلى السفر ، فإنه من المرجح أن يكون سفر الملوك قد ألف بعد سنة ٥٨٧ مباشرة وهى سنة تدمير أورشليم على يد نبوخذ ناصر .

وتعزو التقاليد اليهودية كتابة سفرى الملوك إلى ارميا النبي ، وقد أخذ كثير من العلماء المسيحيين بهذا الرأى . والدارس لأسلوب ارميا ومادته اللغوية يجد تشابها واضحاً بينها وبين أسلوب سفر الملوك ومادته اللغوية ، وكذلك نجد سرداً مفصلا للحوادث التى عاصرها ارميا . ونلاحظ أن ذكر ارميا لم يرد فى سفرى الملوك ، وذكر غيره من الأنبياء ، مع أن أرميا كان له شأن فى هذا العصر .

ومن المرجح أن تكون كتابة سفر الملوك قد تمت فى فلسطين حيث كانت الأحداث ، وقد تكون قد كتبت فى بابل أيام السبى .

ومما يستحق الذكر أن بعض الآثار التى كشف عنها تنوه ببعض الأحداث والملوك التى وردت فى سفرى الملوك : منها نقش فى معبد الكرنك يتحدث عن انتصار شيشنق الأول على فلسطين وسوريا سنة ٩٥٢ قبل الميلاد وقد ذكر عدة مدن فلسطينية فتحها ، ويقول سفر الملوك الأول ١٤ : ٢٥ ، ٢٦ « وفى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم ، وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شيء ، وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان ».

وجاء ذكر الملك ياهو على مسلة أقامها شلمنصر الثالث (٨٥٩ — ٨٢٥) ضمن قائمة الملوك الذين دفعوا له الجزية .

التقويم المستخدم فى سفرى الملوك :

كانت السنة الشمسية يحسب بها فى إسرائيل وفى يهوذا . وكانت السنة المدنية أو السياسية تبدأ فى المملكتين فى الخريف أول تشرين (أكتوبر) وذلك حتى خراب أورشليم سنة ٥٨٧ قبل الميلاد .

وفى سنة ٥٨٧ ق . م استخدم التقويم البابلى ، الذى تبدأ فيه السنة بشهر نيسان (مارس) .

أما الطريقة التى استعملت فى حساب سنى حكم الملك ، فقد كانت الطريقة التى سادت فى أشور وبابل ، وهى طريقة حساب السنة الأولى لحكم الملك من أول السنة الجديدة التى تلى جلوسه على العرش ، وكانت السنة التى يجلس عليها تعد من سنى حكم الملك السابق .

ومن سنة ٩٣٢ ق . م إلى سنة ٥٨٧ ق . م استخدمت كل من مملكتى الشمال والجنوب طريقة الحساب الذى كان شائعاً فى مصر ، وهى حساب السنة التى تولى فيها الملك العرش والسنة التى مات فيها ، من سنى حكمه .

وبعد السبي استخدم اليهود الطريقة البابلية ، ولهذا يجب أن نضع فى اعتبارنا اختلاف سنى حكم الملوك بالنسبة لاستعمال أى الطريقتين .

سفرا الأيام الأول والثانى

هما فى الأصل سفر واحد ، وقد قسمته الترجمة السبعينية إلى جزءين .

ويشمل السفران ذكر التاريخ من ابتداء الخليقة إلى العودة من السبى البابلى، وأمر كورش سنة ٥٣٨ بإعادة بناء الهيكل .

ويعالج السفر العصر القديم بقوائم أنساب ، ويذكر عصر داود وسليمان بشىء من التفصيل فى الناحية الدينية، ويهتم فى عصر الملوك بمملكة يهوذا .

ويمكن تقسيم موضوعات السفر إلى ثلاثة أجزاء رئيسية :

أولا — أخبار الأيام الأول الاصحاحات من ١ إلى ٩ وهى جداول أنساب من آدم إلى شاول.

ثانياً — أخبار الأيام الأول الاصحاحات من ١٠ إلى ٢٩ وفيها تاريخ داود، وموت شاول ، ونقل تابوت العهد إلى أورشليم . وانتصار داود على الفلسطنيين والمؤابيين والسوريين والعمونيين ، والاستعداد لبناء الهيكل ، وتقسيم الكهنة واللاويين والمسبحين والبوابين ، وجداول بالموظفين المدنيين والعسكريين ، وموت داود .

ثالثاً — أخبار الأيام الثانى الاصحاحات من ١ إلى ٩ : عصر سليمان ، بناء الهيكل ، حكم سليمان ونهايته .

والاصحاحات من العاشر إلى الثلاثين . تاريخ مملكة يهوذا إلى سبى بابل ، وأمر كورش بالسماح ليهود السبى بالعودة .

وبالجملة فإن نص أخبار الأيام يسير جنباً إلى جنب مع نص صموئيل والملوك ، ولكنه يستقل عنهما ، لأن مؤلف أخبار الأيام قصد إظهار التاريخ الكهنونى ، أما مؤلف صموئيل والملوك فعنى بالتاريخ السياسى ويتضح هذا من الخصائص الآتية :—

١ — ذكر قوائم الانساب والنصوص والقرارات .

٢ — اقتصار المؤلف على تاريخ مملكة يهوذا ، وعلى تاريخ أسرة داود .

٣ — اهتم بهيكل أورشليم ونظامه المتصل بالطقوس والقوائم الدقيقة للكهنة واللاويين والمسبحين والبوابين (أخبار الأيام الأول ٦ : ٢٣ — ٢٥ ، وأخبار الأيام الثانى ٨ : ١٤ — ١٦) . وذكر بالتفصيل الملوك الصالحين مثل آسا (أخبار الأيام الثانى الاصحاحات من ١٤ إلى ١٦) ويهوشافاط (أخبار الأيام الثانى الاصحاحات من ١٧ إلى ٢٠) وحزقيا (أخبار الأيام الثانى الاصحاحات من ٢٩ إلى ٣٢) ويوشيا (أخبار الأيام الثانى الاصحاحان ٣٤ ، ٣٥) . وأبرز حسنات داود وسليمان فيما يتعلق ببناء الهيكل وتغاضى عن أخطاء داود وعبادة سليمان للأوثان.

وواضح أن المؤلف أنما قصد إظهار الناحيتين الدينية والقومية . ولم يهتم بالتاريخ السياسى لمملكة يهوذا بالقدر الذى وجهه إلى تاريخها الدينى .

مصادر السفر وكاتبه :

استخدم السفر مصادر تاريخية ونبوات مختلفة. فنجد أنه أخذ جداول الانساب من سفر التكوين (أخبار الأيام الأول من الاصحاح ١ إلى ٢ : ٢) .

كما أخذ من ٢ : ٣ إلى ٩ : ٤٤ من الخروج ومن يشوع ، ومن مصادر أخرى غير معروفة .

ومن الاصحاح العاشر فصاعداً يتفق نص السفر حرفياً فى حوالى ٤٥ فقرة مع أسفار صموئيل والملوك ، كما قيم كل ملك من ناحية أخلاقه وسيرته كما فعل سفر الملوك .

ويذكر المؤلف أسماء بعض مصادره وهى :

١ — سفر الملوك ليهوذا وإسرائيل (أخبار الأيام الثانى ١٦ : ١١) .

٢ — سفر ملوك إسرائيل ويهوذا (أخبار الأيام الثانى ٢٧ : ٧) .

٣ — أخبار ملوك إسرائيل (أخبار الأيام الثانى ٢٣ : ١٨) .

٤ — أخبار الأيام للملك داود (أخبار الأيام الأول ٢٧ : ٢٤) .

وبالإضافة إلى هذه المصادر التى يخيل إلينا أنها كانت سجلات للملوك ، والتى استقى منها مؤلف سفر الملوك ، ذكر المؤلف عدة مرات أسفار الأنبياء مثل صموئيل وناثان وجاد وشمعيا وعدّو وإشعيا وأخيا الشيلونى وياهو بن حنانى .

ويذكر سفر أخبار الأيام الثانى ١٣ : ٢٢ مدراش النبى عـدّو .

وذكر أخبار الأيام الثانى ٣٥ : ٢٥ أن إرميا النبى له مراثى فى يوشيـا ، ولـكن لم تصل إلينا هذه المراثى .

أما تاريخ تدوين السفر فيقع بعد السبى ، وذلك لعدة أسباب منها :

أولا — أتى سفر أخبار الأيام الأول ٣ : ١٩ — ٢٤ بسلسلة نسل زربابل إلى الجيل السادس ، ونجد فى بعض النصوص مثل الترجمـة السبعينية والترجمـة السريانية البسيطة نسل زربابل يصل إلى الجيل الحادى عشر .

ثانيا — وردت فى السفر بعض تعبيـرات عن النقود وعن التقويم تدل على عصر كان اليهود فيه تحت الحـكم الفارسى ، وكذلك قرار كورش ملك الفرس (أخبار الأيام الثانى ٣٦ : ٢٢ و٢٣)

ثالثاً — تشابه الأسـلوب والمفردات بين سفرى أخبـار الأيام وبين سفرى عزرا ونحميا .

ويذهب بعض العلماء أن السفر صنف فى أول العصر اليونانى (٣٠٠ـ٢٥٠ق.م)، ويعتمدون فى ذلك على امتداد تسلسل النسل ، وعلى ما ورد فى أخبـار الأيام الثانى ٣٦ : ٢٢ من ذكر كورش على أنه ملك فارس ، وهذا يدل على أن عصر الفرس كان قد انتهى . لأنهم يذهبون بأنه لو كان حكم الفرس قائما لما ذكـر

كورش على أنه ملك فارس ، بل يذكر بإسمه فقط وكاتب السفر غير معروف . والتقليد اليهودى ينسب كتابة السفر إلى عزرا ، ويرى العلماء إن هناك توافقا بين آراء عزرا والآراء التى أوردها السفر ، وينتهى سفر أخبار الأيام الثانى بنفس الفقرة التى يبتدىء بها سفر عزرا ، ولكن هذا كله لايكفى فى إقامة الدليل بأن عزرا هو كاتب السفر. ولعل الأسباب التى ذكرناها تؤيد أن السفر كتب فى آخر العصر الفارسى .

قيمة السفر التاريخية:

وجه بعض العلماء نقدهم للسفر من الناحية التاريخية ،وقالوا إن هناك تعمداً فى الاختلافات التى أوردها السفر عن ماجاء فى سفر الملوك ، وذلك لأن سفر الملوك حين ألف ، لم يكن تقنين الناحية الطقسية لأسفار موسى الخمسة قد عرف بعد ، بينما كان كاتب سفر أخبار الأيام يعرف التشريعات الدقيقة بالنسبة للطقوس منذ عصر داود وسليمان .

ويذهبون إلى أن كل ما ورد فى أخبار الأيام ، فى تثبيت الشرائع ، إنما كتب فى عصر متأخر للتدليل على الأصل الموسوى للشرائع .

ويرد بعض العلماء على هذا الرأى ببعض الأدلة منها :

ليس هناك إختلافات صريحة غير ما نجده بين صموئيل الثانى ٨ : ١٨ «وبنو داود كانوا كهنة » وبين أخبار الأيام الأول ١٨ : ١٧ « وبنو داود الأولين بين يدى الملك » أى من كبار الموظفين .

والواقع أنه فى النص الأول ، يمكن ترجمة لفظة (كوهنيم بالعبرية) بموظفين لا بلفظة كهنة . والنص العبرى لسفرى أخبار الأيام لم توجه إليه عناية كافية ، ففيه من الأخطاء مالا نجده فى الأسفار الأخرى. وأكثر هذه الأخطاء يرجع إلى

غفلة النساخ ، ويتعلق بالأرقام وبطريقة كتابة الأسماء ، ولا يكون الأختلاف عادة إلا فى إبدال حرف مكان آخر مشابه له فى الشكل .

وقد يظهر فى النص عدم مطابقته لنصوص المصادر التى أخذ عنهـا ، وذلك ناتج من إختصار مؤلف سفر أخبار الأيام لبعض الحوادث أو ذكره لتفـاصيل أضافها من مصدر آخر ، لم يستعمله كاتب سفر الملوك ، وأكثر ما أضـافه يتصل بالهيكل والكهنة والعبادة .

سفرا عزرا ونحميا

كان سفرا عزرا ونحميا فى الأصل يكونان سفرا واحداً يسمى سفر عزرا ، وقد فصلا إلى سفرين فى الترجمة السبعينية .

ويسرد لنا السفران ، عودة الشعب من السبى ،ببيانات تفصيلية مستمدة من السجلات الرسمية ، وذلك فى مجموعة من القوائم . ويبينان الكيفية التى أقام بها عزرا ونحميا النظام السياسى والترتيب الدينى .

ويتصل السفران اتصالا وثيقا بسفرى أخبار الأيام ولكن على الرغم من ذلك فان كل سفر منهما مستقل بذاته . ويهدف السفران إلى إظهار تحقيق النبوات من ثنايا الأحداث التاريخية .

ويغلب على الظن أن أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا كان يضمهم كتاب واحد فى الأصل .

مضمون السفر :

يتكون سفر عزرا من قسمين :

الأول : أخبار عودة اليهود وإعادة بناء هيكل أورشليم فى عصر كورش ودارا الأول (الأصحاحات من ١ إلى ٦) .

يذكر عزرا فى هذا الجزء استيلاء كورش ملك فارس سنة ٥٣٨ قبل الميلاد على بابل ، والأمر الذى أصدره بعودة يهود السبى إلى فلسطين ، وإعادة بناء الهيكل ، الذى كان قد خرب بعد سقوط أورشليم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ثم يتحدث عن رجوع عدد كبير من اليهود إلى فلسطين تحت زعامة شيشبصر رئيس يهوذا ، وكيف حمل معه الآنية المقدسة التى نهبها بنوخذ نصر من الهيكل، وقد أمر بردها اليهم كورش.ويسرد عزرا قوائم بأسماء الذين عادوا تحت زعامة

زربابل ومعه يشوع كبير الكهنة. وفى مستهل الشهر السابع بنوا المذبح، وغضب جيرانهم وحاولوا وقف البناء، فتوقفت أعمال البناء.

وفى السنة الثانية لحكم دارا الأول، أى سنة ٥٢٢ قبل الميلاد، وطوعا لتعليمات النبيين حجى وزكريا، استأنف زربابل ويشوع أعمال البناء، وتم البناء فى السنة السادسة من حكم دارا.

الثانى: خبر عودة فوج آخر من السبى تحت زعامة عزرا إلى أورشليم، وإصلاحاته الدينية على حسب شريعة موسى (الاصحاحات من ٧ إلى ١٠).

كان عودة هذا الفوج من اليهود فى السنة السابعة من حكم ارتحشستا ملك فارس أى سنة ٣٩٨ قبل الميلاد.

يشرع عزرا فى تنفيذ شريعة موسى، ويعود حاملا معه بعض الآنية المقدسة.

ولما رأى عزرا أن اليهود قد اتخذوا لأنفسهم زوجات من الأمم الأخرى، أمرهم أن يتخلوا عن زوجاتهم الأجنبيات لمناقضة هذا للشريعة وبهذا أبطل الزواج المختلط.

أما سفر نحميا فينقسم إلى ثلاثة أجزاء:

الأول: تلقى نحميا أنباء عن الحالة السيئة فى أورشليم وبؤس سكانها، وتوسل إلى الملك بأن يأذن له بالعودة إلى أورشليم، وكان من موظفى البلاط، ويأذن له الملك، فيصل إليها فى السنة العشرين من حكم أرتحشستا. وشرع نحميا فى بناء سور المدينة فى ٥٢ يوماً، وذلك على الرغم من مقاومة أعدائه (الأصحاحات من ١ إلى ٧).

الثانى: اصلاحات عزرا ونحميا الدينية، وتلاوة الشريعة على مسامع الشعب فى الشهر السابع، عيد المظال، واعتراف الشعب بخطاياه، وتجديد العهد مع الله، ومنع الزواج بالأجنبيات. قوائم بأسماء سكان أورشليم وبعض المدن اليهودية، قوائم بالكهنة واللاويين الذين رجعوا مع زربابل (الأصحاحات من الثامن إلى الثانى عشر)

الثالث : ولى ارتحشستا نحميا واليا أو مرزبانا على أورشليم مدة اثنتى عشرة سنة ، ثم عاد إلى بلاط الملك فى السنة الثانية والثلاثين لحكم ارتحشستا ، وفى أثناء غيابه بدأت عوامل الفساد القديمة تدب من جديد ، ولما نعى إليه خبرها ، استأذن الملك ثانية فى العودة ، والقيت إليه مقاليد السلطة مرة أخرى ، فوجه نشاطه فى إزالة أسباب الفساد ، ومنع الإتجار يوم السبت ، ومنع الزواج بالأجنبيات ، ثم قام بإصلاح ثان .

ويظن أن نحميا عاد بعد هذا إلى بلاد فارس حوالى سنة ٤١٣ ق . م وتوفى هناك .

ويظهر الوضوح فى مضمون السفرين ، ولكن تحديد زمن الأحداث ليس من اليسير ، لأن الخلط بين المصادر المختلفة ، والاضطراب فى النص يخلقان صعوبات فى فهم ما يتعلق بالتاريخ .

وهناك فروض مختلفة تحاول أن تفسر الناحية الزمنية .

والعقبات الأساسية التى تعترضنا :

١ — كم كانت الدفعات التى عادت من السبى إلى فلسطين ؟ هل هى ثلاث دفع أو دفعتين ؟

فى السنة السابعة لأرتحشستا زجع مع عزرا فريق من السبى إلى فلسطين (عزرا ٧ : ١ — ٩) ، وجاء فى عزرا (١ : ٨) خبر عودة فريق تحت زعامة شيشبصر ، وفى عزرا (٢ : ٢) ذكر لفريق عاد مع زربابل .

وقد ظن بعض العلماء أن شيشبصر وزربابل شخص واحد يحمل أسمين أو أن شيشبصر كان الرئيس وزربابل مساعده ، وأن الفريقين الأخيرين هما فى الواقع فريق واحد ، ولكن أكثر العلماء يرجحون أن الدفع كانت ثلاث .

٢ — لم يحدد السفر الزمن الذى رجع فيه عزرا مع فريق من اليهود ، وفى

عهد أى من الملوك المسمى أرتحسستا ؟ وهل هو نفس الملك الذى أتى فى عصره نحميا إلى فلسطين ؟

من بدأ أصلاحه الدينى أولا عزرا أو نحميا ؟ ونواجه عدة مشاكل فى الإجابة على هذه الأسئلة : فقد حكم فارس ثلاثة ملوك تحت اسم ارتحشسستا ، الأول (٤٦٥ ـ ٤٢٤) والثانى (٤٠٥ ـ ٣٥٨) والثالث (٣٥٨ ـ ٣٣٨) ، وحكم بين الأول والثانى إجزر سيس الثانى ودارا الثانى فإذا استبعدنا ارتحشسستا الثالث الذى حكم عشرين سنة فقط ، لأن نحميا يذكر أنه عاد إلى فلسطين للمرة الثانية فى السنة الثانية والثلاثين من حكم ارتحشسستا (نحميا ١٣ : ٦)

وإذا رجعنا إلى البرديات الآرامية التى عثر عليها فى مصر فى جزيرة الفنتين أمكننا أن نحدد الآتى :

كان نحميا معاصراً للحاكم الفارسى فى السامرة وهو سنبلط (نحميا ٢ : ١٠) وفى رسالة من الجالية اليهودية فى الفنتين ، تذكر أن حاكم أورشليم الفارسى اسمه باجواس وكبير الكهنة اسمه يوحانان ، وكتبت هذه الرسالة فى السنة السابعة عشرة لحكم دارا الثانى أى سنة ٤٠٨ ق . م . وكان أول نشاط نحميا فى أواسط القرن الخامس (حوالى سنة ٤٤٠ ق . م) وقد حصل من ارتحشسستا الأول الأذن بالعودة إلى أورشليم . وإذا تأملنا ترتيب المواد فى كتابى عزرا ونحميا وكذلك ماتذهب إليه التقاليد ، نجد أن نشاطهما كمصلحين كان مشتركا ، فعودة عزرا كانت فى عصر ارتحشسستا الأول ، فالأثنان عملا فى وقت واحد فى عصر هذا الملك ، وعلى هذا يكون التأريخ كالآتى :

كان الفوج الأول الذى عاد من السبى تحت زعامة شيشبصر عام ٥٣٨ ق . م . والثانى تحت زعامة زربابل عام ٥٢٠ قبل الميلاد وكان ابتداء بناء الهيكل تحت زعامة شيشبصر فيما بين سنتى ٥٣٦ و ٥٣٥ ق . م وكان الإنتهاء منه عام ٥١٥ ق . م . وكان رجوع عزرا إلى أورشليم ومعه ستة آلاف شخص سنة ٤٥٨ ق . م . وفى عام ٤٤٥ ق . م وصل نحميا ، واشترك عزرا ونحميا فى الإصلاح الدينى . وكانت

قراءة الشريعة عام ٤٤٤ ق . م. والرحلة الثانية لنحميا إلى أورشليم تمت سنة ٤٣٣ ق. م

ويتبين من تصنيف سفرى عزرا ونحميا أنهما جمعا من مصادر مختلفة ، ونجد أن الوثائق والقوائم والمصادر ضمت بعضها إلى بعض دون رابط بينها .

أما المصادر التى اعتمد عليها المؤلف فهى :

١ ـ مذكرات عزرا ونحميا (عزرا ٧ : ١ و١٠ : ٤٤ و٩ : ١٥ ونحميا ٧ : ٧٣ و١٠ : ٣٩ و١ : ١ و٧ : ٥ و١٢ : ٢٧ و١٣ : ٣١) ونلاحظ أن هذه الفقرات نقلت كما هى بصيغة المتكلم . ومنها ماعدل وهى ماتذكر عزرا ونحميا فى صيغة الغائب .

٢ — القوائم (عزرا ٢ : ١ — ٦٧ ونحميا ٧ : ٦ ـ ٧٣) وقرارات ملكية (عزرا ١ : ٢ — ٤ و ٧ : ١٢ — ٢٦) وقائمة بأسرة كهنوتية (نحميا ١٢ : ١ — ١٢) وبيان بالآرامية عن بناء الهيكل وسور المدينة (عزرا ٤ : ٩ و ٦ : ١٨ و ٧ : ١٢ و٢٦) .

كاتب السفرين وتاريخ كتابتها :

نستدل من بعض الاشارات فى السفرين لتحديد زمن تأليفهما ، ولكن ذلك يتصل بما أوردناه عن التواريخ الواردة فى السفرين ، والتى حققناها فى الفقرة السابقة .

ولدينا من الأدلة ما يثبت أن السفرين ألفا حوالى نهاية العصر الفارسى أو فى عصر الاسكندر الأكبر .

١ — يذكر نحميا فى ١٢ . ٢٢ دارا الثالث (٣٣٦ — ٣٣٠ ق . م) الذى انتصر عليه اسكندر .

٢ — يتحدث نحميا فى ١٢ : ٢٦ و ٤٧ عن عصر زربابل وعزرا ونحميا فى الماضى .

٣ — يستخدم عزرا ١ : ١ التعبير « ملك الفرس » بينما نجده يستخدم تعبير « الملك » فى آيات أخرى (عزرا ٤ : ٦ ، ٢٣ و ٧ : ١١) .

٤ — القوائم التى أوردها نحميا بأسماء الكهنة واللاويين تصل متسلسلة إلى عصر الإسكندر (نحميا ١٢ : ١٠ و ٢٢) رئيس الكهنة الذى ذكره نحميا هو يدوع وكان أيام الاسكندر .

٥ — يتفق النص الأخير لسفر أخبار الأيام الثانى والنص الأول من عزرا، كما يتشابه أسلوب السفرين .

فالمصنف الذى جمع الوثائق المختلفة ليكتب نص سفرى عزراً ونحميا، يحتمل أن يكون هو الذى صنف سفر أخبار الأيام. ويذهب التقليد اليهودى أن عزرا هو كاتب السفرين .

والسفران فى وضعهما الحالى لم يكتبهما عزرا أو نحميا ، وإن تكن بعض نصوصه ترجع إليهما . فهما دونا الحوادث التى وقعت لهما فى مذكرات خاصة ، واستخدمها كاتب السفر الذى نسق السفرين وصاغهما فى وضعهما الحالى الذى بين أيدينا . ويكون الكاتب قد وضع النص الذى بين أيدينا حوالى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد .

سفر إستير

يشتمل هذا السفر على حادثة وقعت لليهود الذين لم يعودوا من السبى .

وينسب هذا السفر إلى إسم المرأة التى ذكر قصتها السفر فى عهد ملك فارس أحشو يروش . وهو يظهر كيف انقذت إستير اليهود من مصيرهم المحتوم، وكيف أبطلت بأسلوبها مكيدة هامان ، التى كان يرمى من ورائها إلى إبادة اليهود فى مملكة فارس .

وهدف الكتاب هو تفسير الأصل التاريخى لعيد البوريم الذى يحتفل به فى يوم ١٤ أو ١٥ أذار (مارس) تذكاراً لنجاة اليهود ، والذى ذكر لأول مرة فى سفر المكابيين الثانى ١٥ : ٣٦ .

مضمون السفر :

ينقسم السفر إلى ثلاثة أجزاء :

الأول : يتضمن إنتقال إستير من ذل العبودية إلى أن أصبحت ملكة فارس، والفائدة التى حصل عليها ملك فارس من مردخاى عمها (الاصحاحان ١و ٢) .

الثانى : محاولة هامان وحيلته لاستئصال اليهود (الاصحاحات من ٣إلى٥) .

الثالث : تدخل إستير وإبطال حيلة هامان ، ثم أمر الملك بإعدامه .

تاريخ السفر .

لتحديد تاريخ تأليف النص ، علينا أن نعتبر الحقائق الآتية :

إن كاتب النص على علم تام بالأمور فى فارس ، وهو لا يتحدث عن أورشليم أو عن فلسطين أو عن الهيكل . ولغة النص تشبه لغة سفر أخبار الأيام والجامعة ودانيال . ولهذا يمكن تحديد تاريخ كتابته فى العصر الفارسى أو فى العصر اليونانى ، وعلى أية حال بعد سقوط الإمبراطورية بقليل (٣٣٠ ق. م).

ولا نجد ما يدعو إلى تحديد وقت تأليفه بمنتصف القرن الثانى قبل الميلاد كما يشير بذلك بعض العلماء ، أو بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد كما يريد آخرون .

والمؤلف لا بد أن يكون من اليهود الذين عاشوا فى فارس ، وقد استخدم السجلات الرسمية الفارسية ، كما نص على ذلك فى إستير ٢ : ٢٣ « وكتب ذلك فى سفر أخبار الأيام أمام الملك » وفى ١٠ : ٢ « وهى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك مادى وفارس » ، واستخدم أيضاً ما دونه مردخاى يقول فى ٩ : ٢٠ « وكتب مردخاى هذه الأمور » وكذلك من الروايات الشفهية .

وتكون الحوادث الزمنية فى السفر على هذا النحو : سنة ٤٨٣ ق.م الإستعداد لحرب اليونان (إستير ١ : ٣) وإستير فى حريم البلاط (إستير ٢ : ٨)، حرب اليونان وهزيمة الفرس (٤٨٠ — ٤٧٩)، سنة ٤٧٩ ق . م أصبحت إستير ملكة. فى أول نيسان سنة ٤٧٤ ق . م إلقاء القرعة أمام هامان (إستير ٣ : ٧) ، قتل اليهود كان سيبدأ يوم ١٣ أذار ، وإبطال الأمر فى ١٣ سيوان (يونية) ، انتقام اليهود فى يومى ١٣ أذار و ١٤ أذار سنة ٤٧٣ ق .م ، أعلن العيد يوم ١٤ أذار .

تاريخ العبريين

كان من أثر غزو أقوام البحر اضمحلال الدول الكبرى فى النصف الثانى من الألف الثانى قبل الميلاد ، وقد أدى ذلك إلى تخفيف الضغط الأجنبى على منطقة سوريا وفلسطين ، كما أدى إلى قيام دويلات محلية أكثر قوة واستقلالا مما أمكن قيامه من قبل . وكان تأسيس هذه الدويلات على يد شعوب سامية كانت تعيش فى المنطقة قبل ذلك بزمن ، ولكنها لم تستطع إثبات وجودها إلا بفضل تلك الظروف المواتية . وكان العبريون فى فلسطين والآراميون فى سوريا أهم هذه الشعوب .

وكان لهذا الوضع التاريخى أثر فى الأحداث التى تقلبت على هذه الدويلات ثم فى اضمحلالها ، الذى لم يكن منه بد ، بعد أن نهضت الدول الكبرى من كبوتها .

فتاريخ العبريين والآراميين هو من الناحية السياسية فترة متواضعة الأهمية ، إذا قورن بتاريخ الأمبراطوريات الكبرى فى الشرق الأدنى قديما ، ولا تصح مقارنته فى الواقع إلا بتاريخ الشعوب السامية الأخرى فى المنطقة نفسها . وللعبريين والآراميين أهمية من نواح أخرى . والذى يهمنا هنا ، هو تاريخ العبريين .

احتفظ العبريون بكيانهم كشعب حتى يومنا هذا . ولا يرجع الفضل فى ذلك إلى سلطان سياسى ، وإنما يجب البحث عن أسبابه ودواعيه فى الدين اليهودى، وفى التمسك بالعقيدة القديمة .

وقد احتفظت اليهودية بطابع الدين القومى ، وأبقت على الشعور القومى للمؤمنين بها ، ولكن المسيحية والإسلام دينان عالميان يتجاوزان حدود الوطن إلى العالم .

التاريخ :

إن مصدرنا الأساسى عن تاريخ الشعب العبرى هو العهد القديم ، أى مجموعة الأسفار المقدسة التى تقص ذلك التاريخ وتفسره . وليست المعلومات التى يقدمها العهد القديم على نسق واحد فى جميع فصوله من حيث مداها وطبيعتها، ولكن يمكن القول مع ذلك أن التاريخ العبرى مدعم فى جملته بوثائق كافية. فبينما كان الناس طوال عدة قرون وحتى عهد قريب ، لايعرفون عن حضارة الشرق الأدنى القديم عامة سوى مايقصه عليهم العهد القديم ، أو لا يعرفون غيره إلا القليل ، كان التاريخ العبرى معروفا على نطاق واسع ، وكان مادة من مواد التربية والثقافة الدينيتين فى العالم المسيحى .

ولكن هناك مشاكل مختلفة تتعلق بمصادر أسفار العهد القديم وزمن وضعها وطريقة تصنيفها ، ولا سيا الأسفار الخمسة الأولى أو التوراة ، تجعل من تاريخ العبريين ، فى مراحله الأولى على الأقل ، موضعاً للجدل .

وما تقوله التوراة عن أصول العبريين الأولى يدور حول ثلاث حقائق جوهرية :

أولها ظهور الجماعة العبرية الأولى فى جنوب بلاد ما بين النهرين ، فسفر التكوين يقص علينا كيف هاجر إبراهيم من « أور » ، وصعد فى نهر الفرات

حتى جرّان ، ومن هناك نزل إلى فلسطين ، وكيف وعده الله تلك الأرض .

والحقيقة الثانية هى إقامة العبريين فى مصر ، وقد انتهت باضطهادهم على يد أحد الفراعنة وخروجهم من مصر بقيادة موسى .

والحقيقة الثالثة هى الرحلة من مصر إلى فلسطين ، وفى خلالها ظهر رب الأجداد لموسى باسم يهوه ، وجدد العهد بينه وبين ذرية إبراهيم ، وأعلن الشريعة .

تقول الرواية إن موسى مات وأرض الميعاد على مرأى منه ، وإنه ترك فتحها لخليفته يشوع . وتصور لنا الرواية تغلغل العبريين فى فلسطين فى صورة سلسلة من الحملات ، وجهت إلى وسط المنطقة وشمالها وجنوبها . وتنسبُ هذه الأحداث إلى النصف الثانى من القرن الثالث عشر قبل الميلاد استناداً إلى ذكر أسرائيل على نصب أقامه الفرعون مر إن پتاح (منفتاح) وإلى أدلة أثرية تشهد بتدمير بعض المدن ، وإن وجدنا هنا بعض المشاكل وبعض النقط الغامضة . ويذكر النص أن فرعون فتح بعض المدن الفلسطينية وأهلك إسرائيل أيضاً . ولكن هل يقصد هنا إسرائيل التى عرفت فى التوراة أو قصد جماعة أقدم منها كانت تسمى إسرائيل ؟

وليس من الضرورى أن تكون حركة التغلغل العبرى حركة فتح عنيف لاغير ، فربما تم جانب منها بالتغلغل السلمى . وقد لاءم القادمون الجدد ، وهم من البدو بين أنفسهم وبين بيئتهم الجديدة شيئاً فشيئاً ، وأنتقلوا من حياتهم القديمة إلى الحياة الزراعية المستقرة . وقد استوطنوا مدناً معينة ؛ ولكنهم كانوا يقيمون خاصة فى المناطق الريفية ، وكانت تضم أراضى كثيرة لم يفتحوها بعد .

ومن المحتمل أن القادمين الجدد وجدوا ، إلى جانب الكنعانيين والجماعات

غير السامية من السكان ، جماعات عبرية أخرى استقر بها المقام من قبل فى فلسطين فى المنطقة الوسطى ، ولم تشارك فى حركة الخروج من مصر . وقد اكتمل الامتزاج بين هؤلاء العبريين والقادمين الجدد ، ولم يلبث أن زال كل أثر لما بينهما من فروق . ولكن الامتزاج مع الكنعانيين كان تدريجياً استغرق بضعة قرون ، فحصن أورشليم لم يستول عليه إلا فى زمن داود .

وكان النظام الاجتماعى العبرى القديم يقوم على القبيلة ، وتقص علينا التوراة توزيع الأرض المفتوحة على القبائل الاثنتى عشرة . وكانت القبائل بدورها تنقسم إلى عشائر .

وكانت القبائل العبرية متجمعة حول هيكل مركزى فى شيلوه ، وهى التى نقل إليها تابوت العهد ، وقد بقى التابوت فيها إلى أن وقع فى أيدى الفلسطينيين الذين هدموا المدينة والهيكل حوالى سنة ألف ق . م .

ويقوم نظامها على مبدأ من المركزية الدينية . وكانت سلطة الكاهن الأكبر عظيمة ، ولكن من المبالغة أن نزعم وجود حكومة ثيوقراطية ، فإن سلطة الكاهن الأكبر لم تكن سياسية . وفى إبان الأزمات كان ينهض زعماء محليون ويتصدرون للقيادة ، وهؤلاء هم القضاة الذين سميت باسمهم حقبة من تاريخ العبريين تشمل تقريباً القرنين اللاحقين لاحتلال فلسطين . وكانت سلطة القضاة عارضة محدودة المدى والمدة ، وهى فى هذا الصدد تذكرنا بسلطة زعماء القبائل فى النظام البدوى الذى تتميز به الحياة السامية فى مراحلها الأقدم عهداً .

وكانت سلطة القضاة تعتمد أساساً على رضا الله عنهم وتأييده لهم ، ومن ثم سميت هذه الفترة بحق عصر الرضا الإلهى . ومن أشهر شخصيات هذه الفترة دبوره التى قادت هى وباراق ست قبائل إلى الفوز على الكنعانيين فى مجدو

(تل المتسلم الآن) ، وجدعون قاهر المديانيين ، وشمشون بطل الكفاح ضد الفلسطينيين

ولم يتسع الوقت للفاتحين لتوطيد إنتصارهم الأول فى فلسطين . فقد شن الفلسطينيون هجوماً مضاداً أخذ يتغلغل من المنطقة الساحلية إلى الداخل حتى بلغ قلب إسرائيل ، فهدم هيكل شيلوه وسبى تابوت العهد . وفى هذه الأثناء كان المديانيون والمؤابيون والعمونيون والآراميون لا يكفون عن الإغارة على حدود إسرائيل ، وكانت الفرقة تمزقها من الداخل . وفى ختام الألف الثانى قبل الميلاد كانت إسرائيل فى اضمحلال يكاد يكون تاماً ، ولكن أنقذها من ذلك رد فعل فى صورة دعوة إلى الوحدة الوطنية أدت إلى قيام الملكية .

* * *

وكانت فترة الملكية هى الفترة الفاصلة فى تاريخ إسرائيل . فالمثل الذى ضربته الشعوب المحيطة ، وحاجات الدفاع عن النفس أقامت الوحدة السياسية بين القبائل العبرية فى وقت كان فيه الموقف التاريخى مواتيا على نحو فريد لإقامة مملكتها وتوسيعها ، ولكن تلك المملكة كانت قائمة على أساس غير ثابت ، وسياسة التركيز والتوطيد التى أتبعها ملوكها لم تستطع تماماً القضاء على عوامل الهدم داخلها .

وكان أقوى عوامل الهدم هذه ، التنافس بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب ، وهو تنافس لم يقض عليه أبداً ، بل قضى هو نفسه على الدولة . فاختيار رجل مثل شاول ينتمى إلى أصغر قبيلة وأقربها إلى وسط البلاد ، هى قبيلة بنيامين ، هو الذى أتاح إنشاء المملكة . وقد حافظ داود ، خليفة شاول ، على تماسك المملكة بسياسة من المحاباة لقبائل الشمال ، فقد كان هو نفسه من الجنوب . وهكذا استطاع أن يسلم لخليفته سليمان مملكة غير منقسمة ، وقد ظلت كذلك

خلال عهد سليمان المزدهر ؛ ولكن عند موته عاد التنافس القديم من جديد وشطر المملكة شطرين .

هذا إلى أن تقاليد العبريين البدوية لم تكيف نفسها وفق الملكية في يسر، فعلى الرغم من أن الملكية كانت أمراً لا مناص منه لكى تشغل إسرائيل مكاناً في الميدان السياسي للشرق ، كانت روح أهلها الديمقراطية الاستقلالية تعرقل الملكية وتنال منها . وقد استعان معارضو السلطة الملكية بالسلطة الدينية ، فأوجدوا داخل الدولة ثنائية أخرى إلى جانب ثنائية الشمال والجنوب . ولم يلبث شاول أن اصطدم بالكهنة ، وكان هذا هو السبب الأساسي لسقوطه ومجيء داود بعده . وقد أدرك داود وسليمان قوة المركزية الدينية وسلطة الكاهن الأكبر ، فاتبعا السياسة التي يتبعها الملوك والأباطرة دائماً في مثل هذه الأحوال ، وذلك أن بسطا « حمايتهما » على الدين ، وألحقا الكاهن الأكبر ببلاطهما ، وجاهدا ليجعلا الهيئة الدينية إدارة من إدارات الدولة .

وكان أثر هذه السياسة هو أيضاً ذلك الأثر الذي أورد لنا التاريخ أمثلة كثيرة أخرى له ، فقد سلك الكهنة بطبقاتهم المختلفة مسلك موظفي الدولة ، فانصبت الكراهية عندئذ على الدولة والدين الرسمي معاً . وحدث صدع بين الدين الرسمي والآمال الدينية لأولئك الذين كانوا ينظرون إلى الدين على أنه أكثر من شكل جامد . وتطور التوتر إلى معارضة ، وكان الأنبياء بعد انقسام المملكة لسان هذه المعارضة . فقيام الأنبياء كان مظهراً تلقائياً لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التي فرضها الحكم الملكي على الدين . وكان الأنبياء يدعون إلى التمسك بالأفكار القديمة ، وكانوا من أوائل المنادين بتلك الفلسفة للتاريخ التي تنتمي إلى جوهر الدين العبري. فقد رأوا أن الاضمحلال السياسي الذي تبع إنقسام المملكة هو أثر سخط الله على شعبه العاصي .

ويبدأ تاريخ المملكة الموحدة بشاول حوالى عام ١٠٢٠ ق . م . ويمكن أن يقال عنه أنه كان مهيئاً بطبيعته للنجاح فى ظروف عصر القضاة ، وللفشل فى أحوال عصر الملوك ؛ فقد كان شخصية محاربة متهورة طاغية ، حظها من الروح الدبلوماسية قليل . وهذا هو السر فى مصيره المحزن . فقد وفق توفيقاً رائعاً فى توحيد جميع القبائل تقريباً تحت زعامته ضد الفلسطينيين ، وقادها إلى النصر ، فكوفىء على ذلك بالملكية ، ولكن عجزه عن السيطرة على الفئات المتعارضة داخل مملكته منعه من توطيد انتصاراته أو سلطته ، وأدى إلى سقوطه . وكان نزاعه مع داود ، زوج ابنته من أهم عوامل سقوطه ؛ فانصداع ما بينه وبين داود أبعد عنه تأييد طبقة الكهنة القوية . وقد قتل وهو يحارب الفلسطينيين الذين كانوا يفيدون من تفكك الدولة ليفتحوا من جديد المنطقة الواقعة غربى الأردن ، ويعيدوا سلطانهم على القبائل العبرية .

ولكن أعاد داود إلى إسرائيل حظها الضائع ، وكان جلوسه على العرش حوالى سنة ١٠٠٠ ق . م . وكان قد بدأ بتكوين دولة صغيرة خاضعة للفلسطينيين ، ولكن مقدرته فى الحرب والسياسة معاً أكسبته الاستقلال ، وأقامته ملكا على إسرائيل مكان أسرة شاول ، وبالاستيلاء على أورشليم وباستعادة تابوت العهد صار للدولة الناهضة من جديد مركزها السياسى والدينى ، وبسلوك سياسة قوية موجهة توجيهاً موفقاً صارت لها السيطرة على فلسطين والمناطق الصحراوية المحيطة بها وجزء كبير من سوريا .

ولكن مقدرة داود نفسها لم تكف لحفظ السلام فى الدولة ، بل أنه فى وقت من الأوقات ، حين تزعم ابنه أبشالوم الثورة ضده ، اضطر إلى الفرار إلى ما وراء نهر الأردن لينجو بنفسه ، وكان عليه بعد ذلك أن يقاتل للعودة إلى العرش ، ولكن عهده كان فى جملته عهد يسر ورخاء ، ارتفع به اليهود فى العصور المظلمة اللاحقة إلى مرتبة العصر الذهبى . وقد بلغت فيه الحياة

السياسية والتجارية درجة عالية من التقدم، واحتفظ الدين إلى حد بعيد ببساطته الأولى ونقائه القديم.

وكان سليمان بن داود (٩٦١ - ٩٢٢ ق. م) شديد الاختلاف عن أبيه. فقد أحدث تغييراً جوهرياً في كل حياة المملكة، وأعاد تنظيم المملكة على نمط الممالك المطلقة السلطان في الشرق الأدنى القديم. فالأبهة والترف في البلاط وكثرة الزوجات والجوارى التي كانت تتطلبها اعتبارات الدبلوماسية والسمعة والتي قدر، كما تقول التوراة، أن تشغل قلب الملك، ثم ازدياد مؤامرات القصور، كل هـذا يمثل نظاماً يختلف تمام الاختلاف عن أساليب العبريين في الحياة والتفكير، نظاماً لم يكن بدّ من أن يعجل انتهاجه بوقوع أزمة.

وقد امتاز عهد سليمان بتقدم تجارى عظيم، كفلته السيطرة على الطرق التجارية في سوريا وفلسطين وعلى الطريق المؤدى إلى البحر الأحمر، وبين أعماله، التي قام بكثير منهـا مشتركا مع الدول الفينيقية البحرية، رحلة إلى «أوفير»، وربما كانت هـذه على ساحل الصومال، ويتحدث سفرا الملوك أيضاً عن اتجاره في الخيل وعربات الحرب، ولا بد أنه كان محتكراً لهذه التجارة فعلا، لأن مزاولتها بين مصر وسوريا كانت تعتمد بالطبع على الطرق البرية، وهذه كانت جميعاً في يد إسرائيل. والاصطبلات الملكية الكبيرة التي كشفت في مجدّو تؤكد مدى اهتمام سليمان بتربية الخيل.

وثمة كشف أثرى آخر يلقى بعض الضوء على الحياة الصناعية في إسرائيل، فقد كشف الدكتور «جلوك» في عصيون جابر (الآن تل الخليفي غربي ميناء العقبة على ساحل البحر الأحمر)، مناجم للنحاس ومصانع لتكريره، يدل بناؤها على تقدم كبير في العلم والخبرة الفنية.

ولم يكن بد لهـذا الازدهار من جانب معتم، فالزيادة العظيمة في سعة

البلاط وفخامته ، وفى اتساع وظائف الدولة وتعقدها ، وفى عدد الأعمال العامة التى اضطلع بهـا سليمان وضخامتها ، هذه الزيادة اضطرت سليمان إلى إقامة نظام من الضرائب ألقى على شعبه عبئاً ثقيلا ، وزاد من ثقله واستنكار الشعب له ، أن الضرائب من أى نوع لم تتطرق إلى نظامهم فى الحياة والتفكير إلا قبل ذلك بزمن قصير . والواقع أنه بلغ من شدة هـذه الضرائب أن البلاد ، رغم مظاهر الرخاء ، كانت تسير نحو أزمة اقتصادية ؛ فكان للعامل الاقتصادى أن يلعب دوراً هاماً فى الأزمة السياسية التى تلت فعلا موت سليمان .

وكان إنشاء الهيكل الكبير فى أورشليم أشهر ما قام به سليمان من أعمال عامة . وقد ضم هـذا العمل الضخم عناصر فنية من كنعان ، فينيقية وغير فينيقية ، وكذلك من بلاد ما بين النهرين .

والدين اليهودى نفسه لم يظل بعيداً عن مثل هذا التأثر ، فالرواية اليهودية تنعى على سليمان أنه أدخل ألواناً أجنبية من العبادة ؛ ولسنا ندرى أتجاوز هذا نطاق الحيل الدبلوماسية أم لا ، ولكنه كان ، رغم المنافع التى قد يكون جلبها من ناحية السياسة الخارجية ، خطوة واسعة هددت بالخطر الوحدة القومية للشعب العبرى .

* * *

وانتهى نفوذ العبريين السياسى بموت سليمان ، واندلع التنافس القديم بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب على نحو عنيف فى ثورة يربعام الأول (حوالى ٩٣٣ — ٩١٢ ق . م .) ، التى أدت إلى انشقاق المملكة شقين . وكانت المملكة الشمالية ، أى إسرائيل ، أكبر وأقوى عسكرياً إلى حد بعيد ؛ ولكن كانت المملكة الجنوبية أقل انكشافاً ، وكانت أورشليم ، المركز الدينى عاصمة لها .

وقد صحب انقسام المملكة اضمحلال دينى . فقد أعاد يربعام فى الشمال

الهيكلين القديمين فى مدينتى بيت إيل (يقوم مكانها الآن برج بيتين) ودان فى أقصى شمال فلسطين (ويقوم مكانها الآن تل القاضى غربى بانياس) ليجابه نفوذ أورشليم . وفى الجنوب ، ظل ملوك يهوذا مخلصين للهيكل الكبير ، ولكنهم غضوا النظر عن عبادة آلهة غريبة دخلت فى عصر سليمان ؛ فقُدِّر للمملكتين معاً أن تشهدا دخول عبادات وطقوس وثنية .

هذه الأحوال هى السبب فى قيام الأنبياء . وكان يميز دعوتهم العداء للتطور السياسى الدينى الذى شهده عهدا الملكية ، وأدى إلى تلوث دين يهوه القديم وفساده . وقد ندد الأنبياء بالبدع الوثنية ، وبذلك عارضوا السلطة الملكية معارضة صريحة . وقد لاحظ العلماء أن هذه النبوة تعبير عن انبعاث روح الحرية الموروثة عن حياة البداوة ، تلك الروح التى رأت فى الملكية بدعة منكرة ونظاماً منقولا عن العالم الخارجى المعادى لإسرائيل .

وقد قدر لتاريخ العبريين السياسى حتى السبى إلى بابل أن تلازمه دون فكاك دعوة الأنبياء ، فقد تابعوا تقلباته جميعاً ، ونددوا دائماً بسياسة الحكام . وكانوا يدعون إلى نقاء القلب وتواضعه ، واستقامة السلوك ، والإخلاص للعهد المعقود مع الله ، ويفسرون مصائب الدولة اليوم أو غداً (كما يتنبأون) بأنها نتيجة لانحراف الناس عن الولاء لله بعد أن أضلهم الحكام .

وقد ظهرت طليعة الأنبياء الكبار فى إسرائيل فى القرن التاسع قبل الميلاد ، حين قام فيها اليّاهو (أو إليّا ، وهو إلياس وإلياسين الذى ورد فى سورة الأنعام : ٨٥ والصافات ١٢٣ — ١٣٢) وإليشع (وهو تلميذ إليا وخليفته ، وهو إليسع الذى ورد فى سورة الأنعام : ٨٦ وفى سورة ص ٤٨) واليهما يرجع رد الفعل ضد وثنية أحاب (حوالى ٨٧٦ — ٨٥٤ ق . م) ، والقضاء فى عهد يهو (حوالى ٨٤٢ — ٨١٥ ق . م) على صور العبادة الوثنية . ولكن لم تكن

لهذا الإصلاح نتائج باقية، فان الانحرافات القديمة لم تلبث أن عادت إلى الظهور، وتدلنا الكشوف الأثرية على كثرة الأشجار المقدسة من النمط الكنعانى، ومذابح البخور، والتماثيل الصغيرة للمعبودات، والتمائم. وقد تعاقب أنبياء جدد فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، هم عاموس وهوشع وميخا. وكانت دعوة الياهو واليشاع بالعمل أكثر منها بالقول، فلم يخلفا لنا أسفاراً مكتوبة تعبر عن دعوتهما، ولكن سمى هؤلاء الأنبياء الجدد « بالمنشدين الجوالين »، لأنهم كانوا ينذرون الناس وينصحونهم بمواعظ وصلت الينا فى تلك الأسفار من العهد القديم التى تحمل أسماءهم.

وكانت حياة مملكة إسرائيل تدور حول عاصمتها السامرة، التى أسسها عمرى ملك إسرائيل (حوالى ٨٨٧ — ٨٧٧ ق. م.) لتكون عاصمة جديدة للملكة بدل مدينة ترصا التى لا نعرف مكانها بعد على وجه التحقيق. وكان قد ملك فى ترصا ست سنين (ملوك أول ١٦ : ١٤). وظلت السامرة مقراً لملوك مملكة إسرائيل حتى نهايتها سنة ٧٢٢ ق. م. وقد وسعها هيرودوس بعد عام ٣٠ ق. م بسنوات قلائل، وأطلق عليها باليونانية اسم سبست أى الجليلة تكريماً للامبراطور الرومانى أغسطس ومعنى اسمه باللاتينية «الجليل» ولا تزال تسمى سبسطية. وكانت السامرة مزدهرة تنعم بالرخاء خلال عهد آحاب، ولكن اضطر يهو إلى التذلل لملك أشور شلمنصر الثالث، وحد الآراميون فى دمشق من سلطان خليفته يهوآحاز (٨١٥ — ٧٩٨ ق.م.) فلم يتجاوز ملكه الفعلى العاصمة إلا قليلا. وفى عهد يربعام الثانى (٧٨٣ — ٧٤٣ ق. م شهدت إسرائيل آخر فترات أمجادها، ثم جاء الإضمحلال الأخير. فالامبراطورية الأشورية كانت تتسع منتصرة لتبلغ ذروتها. وبعد مقاومة قصيرة تقلب فيها الحظ استسلمت مملكة إسرائيل أخيراً باستيلاء سرجون على السامرة عام ٧٢٢ ق. م.

وكان التاريخ يهوذا ، كتاريخ إسرائيل ، يتحكم فيه التنافس بين مصر ودول مابين النهرين . فبعد فترة قصيرة من المجد فى عهد عُزياهو ، صارت يهوذا فى عهد حِزْقِيا هو (٧٢٧—٦٩٩ ق. م) تدفع الجزية لأشور ، على الرغم من تخليص أورشليم من قوات سنخريب المحاصرة لها عام ٧٠١ ق. م . وكان اضطهاد الأنبياء على أعنفه فى عهد منشى (٦٩٨ — ٦٤٣ ق . م) ، فقد حاول التقرب إلى الأشوريين بإدخال كثير من العبادات الوثنية الأجنبية . ولم يلبث أن حدث رد فعل ضد ذلك فى عهد يوشياهو (٦٤٠ ــ ٦٠٩ ق . م.) ، فقد قام باصلاح دينى شامل عام ٦٢٢ ق . م ، عاد فيه إلى وحدانية متشددة وثبت الطقوس الدينيه ، وأعاد دين يهوه إلى مجده القديم ، وأزال العبادات الأشورية وغيرها من العبادات الأجنبية . ولـكن بعد ذلك بقليل ضمت يهوذا إلى إمبراطورية نبوخذ نصر . إذ وقعت بين شقى الرحى : مصر من جهة وقوة بابل الصاعدة من جهة أخرى . وثارت أورشليم مرتين : المرة الأولى كانت عام ٦٠٢ ق . م فى عهد يهويا قيم (٦٠٨ ــ ٥٩٨ ق . م) الذى مات قبل أن يحل به عقاب نبوخذ نصر ، فوقع العقاب على ابنه وخليفته يهويا كين ، فقد زحف نبوخذ نصر على أورشليم وحاصرها ، وكان يهويا كين فى الثامنة عشرة من عمره ولم يمض عليه فى العرش سوى ثلاثة أشهر ، فآثر الاستسلام ، فنفاه نبوخذ نصر إلى بابل هو وكبار قومه وأصحاب الحرف وأهل الحرب ، ونهب كنوز أورشليم سنة ٥٩٨ ق . م ، وفى المرة الثانية ، عام ٥٨٦ ق . م فى عهد صِدقياهو (٥٩٧ــ٥٨٧ق.م)، آخر ملوك يهوذا أخذت أورشليم عنوة ودمرت فى عنف ، ونفى خيرة الشعب إلى بابل . وكان هذا بداية عصر السبى البابلى .

ويبرز نبيان خلال التاريخ العاصف لمملكة يهوذا : إشعيا ، وقت سقوط إسرائيل ، وإرميا ، حين سقطت أورشليم هى أيضاً . فالخراب الذى تنبأ به إشعيا حل زمن إرميا . وقد شمل كلا النبيين باستنكاره شعوبا أخرى بل

الإنسانية عامة ، فكان ذلك إيذانا بالاصرار على فكرة حكم يهوه للعالم بأسره، ذلك الإصرار الذى برز خاصة فى عهد السبى . وكان تشاؤم إرميا العميق واستسلامه الحزين آخر تعبيرات الفكر العبرى ، والسبى على الأبواب .

والتفت أهل السبى فى مهانتهم السياسية إلى دينهم يلتمسون فيه العزاء ، فقامت نهضة روحية عميقة . وأملهم فى غد أفضل، وقد ظهر ذلك فى نمو فكرة المسيح المخلص ، وهى فكرة كانت قائمة فعلاً من قبل .

هذه المرحلة الجديدة من مراحل الدين اليهودى تعبر عنها رؤى حزقيال ، نبى السبى . فالدين « الرسمى » قد زال مع الدولة ، وزال بزواله ما أثاره من قلق وصراع ، فانضمت عندئذ الرواية النبوية إلى السلطة الكهنوتية فى جهد دائب لوضع صيغ جديدة للرواية القديمة . فوجدنا الوحدانية العالمية ، بعد أن تحررت من قيود المشاكل السياسية الضيقة ، تتحد مع الأمل فى حياة دينية جديدة تدور حول الهيكل بعد أن يبنى من جديد .

ويظهر نبى كبير سماه الباحثون فى العهد القديم إشعيا الثانى ، لأن نبوءاته ضمت إلى نبوءات إشعيا ، وهو يدعو إلى الوحدانية الخلقية النقية ، ويرى فى الشقاء وسيلة للتطهر أتاحها الله ، وذلك نحو ما نجده فى سفر أيوب ، وتصل إسرائيل بهذا إلى فكرة التطهر التى تحدد نهاية تاريخها القديم .

وفى عام ٥٣٨ ق. م فتح الفرس بابل ، وسمح كورش لليهود الذين فى السبى بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل من جديد ، ومنذ ذلك الحين صارت فلسطين تحت سيطرة دول أجنبية بل تحت حكمها المباشر ، وبمجىء العصرين الهلينستى والرومانى خرجت فلسطين عن نطاق التاريخ السامى المحض .

وكانت فترة حكم المكابيين القصيرة وكذلك حكم أسرة هيرودوس فيها شىء من الحرية فى السلطة ، والذى يمكن أن نعبر عنه بأنها كانت تحت الحماية . فقد ولى الرومان هيرودوس الأدومى الأصل ملكا على يهوذا عام ٣٧ ق. م ،

وكانت البلاد منذ عام ٦٣ ق. م خاضعة للامبراطورية الرومانية ، وقد ضم الرومان إلى مملكة هيرودوس مناطق أخرى حتى كادت تشمل مملكته فلسطين كلها.

وكان هيرودوس صديقاً للرومان ، يتملقهم ويضع مصالحهم فوق كل اعتبار ، وأنهى حكمه بالعنف والإرهاب فكرهه رعاياه اليهود . وقد اشتهر هو وأبناؤه من بعده بحب البناء والتشييد .

وبعد وفاته عام ٤ ق.م ، قسم ملكه حسب وصيته بين أبنائه الثلاثة : أرخيلاوس وفيليبوس وأنتيپاس ، فكان من نصيب أرخيلاوس يهوذا والسامرة وأدوم ، ومن نصيب فيليبوس وأنتيپاس مناطق أخرى أقل أهمية .

حكم أرخيلاوس عشر سنين ، ولكنه كان قاسياً مستبداً ، فعزله الإمبراطور الرومانى أغسطس ، ونفاه إلى بلاد الغال ، وتولى حكم يهوذا بعد ذلك حكام من الرومان بالتعاقب .

وفى سنة ٤١ ميلادية أسند كلاوديوس الامبراطور الرومانى مملكة يهوذا والسامرة إلى أجريپاس الأول حفيد هيرودوس الكبير ، فحكم البلاد حتى وفاته عام ٤٤ ميلادية ، وبعد موته ، وضع الامبراطور الرومانى يهوذا من جديد تحت إمرة حكام من الرومان ، ولكنه بعد سنوات قلائل أسند إلى أجريپاس الثانى ابن أجريپاس الأول حكم بعض المناطق ، كما جعل له سلطات إدارية معينة فيما يتعلق بأورشليم ، ولم يحظ أجريپاس الثانى بحب اليهود أو احترامهم.

وفى هذه الأثناء كان الحكام الرومان الذين تولوا حكم بقية البلاد ، ومنها يهوذا ، يواجهون مشاكل داخلية متنوعة . وساءت الأمور فى عهد الحكام الرومان وعلى الأخص فى عهد فيلكس وفستوس ومن بعدهما فلوروس الذى تولى الحكم عام ٦٤ ميلادية . وفى عهده قامت حرب بين اليهود والرومان ، بدأت عام ٦٦ ميلادية وانتهت عام ٧٠ ميلادية وذلك باستيلاء طيطوس

الرومانى على أورشليم وتدميرها هى وهيكلها .

ومنذ عهد طيطس لم تقم لليهود قائمة فى تاريخ فلسطين .

وفى أوائل القرن السابع الميلادى قامت الدولة العربية ، واستولت على ما بين النهرين وكذلك على سوريا ، فدخلت فلسطين فى حيز تلك الدولة منذ القرن السابع ، بل صارت قلب العالم العربى .

الفهرست

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١



المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١